تهذيب النفوس

إعداد

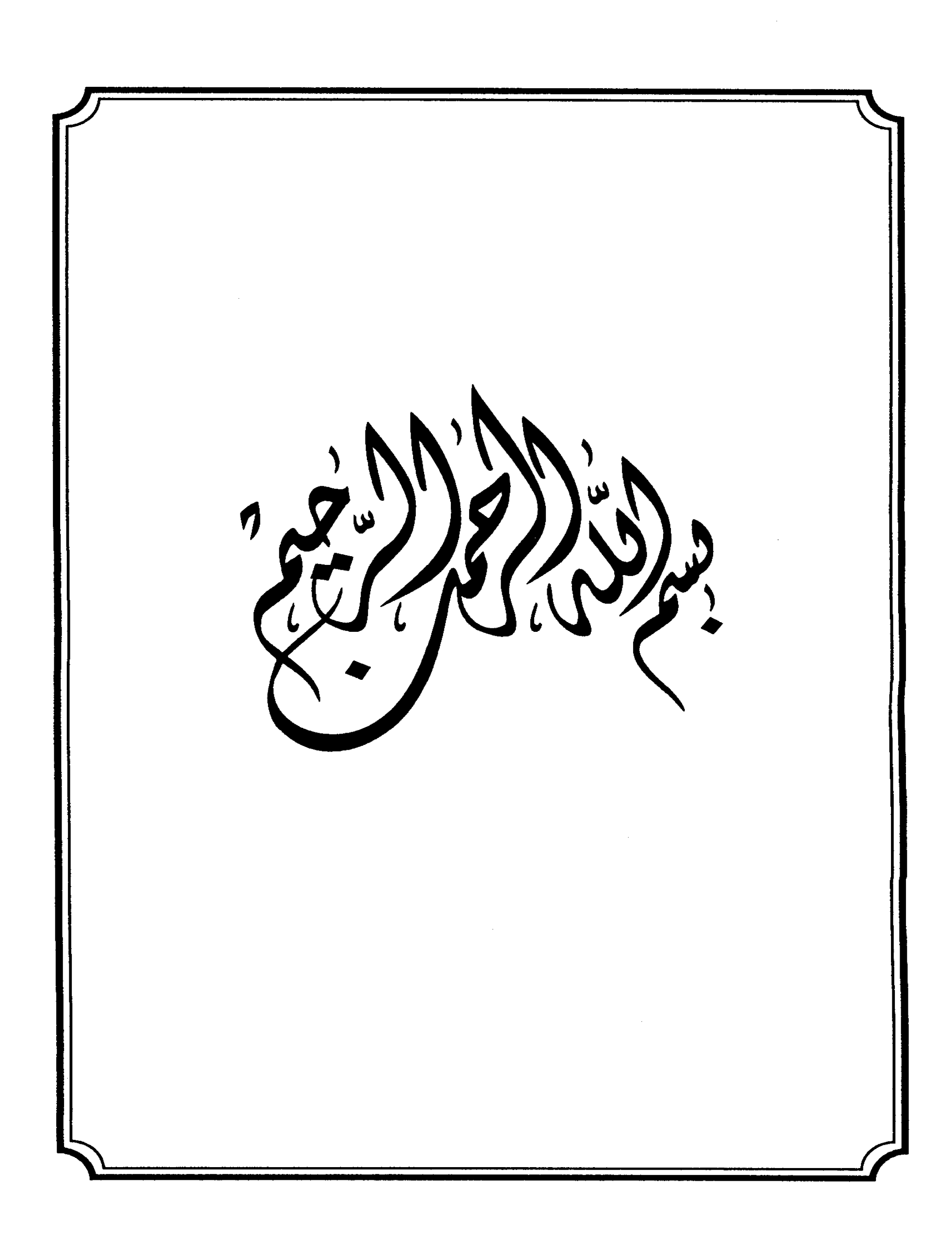
د/ هشام عبد الجواد الزهيري

الطبعة الثانية
١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م

رقم الإيداع/ ٢٠٠٦/٧٩٠٦
الترقيم الدولي/ I.S.B.N 977 - 6168



الناشر
دار الصفا والمروة بالإسكندرية
١٨٥ ش جمال عبد الناصر ـ سيدي بشر نهاية النفق
ت: ٠٣/٥٤٩٦١٠٧ فاكس: ٠٣/٥٥٦٧١٣٤



بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب تهذيب النفوس

بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ثم أما بعد فإن صلاح النفوس من أولى ما يسعى فيه العبد إذ قد علق الله الفلاح عليه فقال: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ بل لا سعادة للعبد في الدنيا والآخرة إلا بتهذيبه نفسه وكلما كانت النفوس مليئة بالآفات كلما كان إصلاحها صعباً والله المستعان فنظراً لصعوبة تفهم الكثير لطبيعة نفسه وحقيقة عيوبه وضعت هذا الكتاب وسيلة لمساعدتي ومساعدة إخواني على هذه المهمة الهامة... ألا وهي تهذيب النفوس والله الموفق.

وقد تكلم العلماء في هذا الباب فكفوا وشفوا ولكني أعرض الموضوع بطريقة تناسب عصرنا وطباعنا إن شاء الله ولا غنى عن كتب السلف في هذا الموضوع ككتاب مختصر منهاج القاصدين وكتاب مدارج السالكين وكتاب الزهد للإمام أحمد وكتاب سير أعلام النبلاء ولذلك سأذكر في هذا الكتاب ما أظنه غير مذكور في هذه الكتب وأترك ما ذكر فيها والله المستعان.

كتبه،

د/ هشام عبد الجواد الزهيري

والنفوس على أقسام:

١- **النفس الأمارة بالسوء:** وهي أسوء النفوس وهي التي تحث صاحبها على الشر ولا تكاد تأمره بخير.

٢- **النفس اللوامة:** وهي التي تلوم صاحبها على فعل المعصية وتندم عند فعل القبيح وهي خير من السابقة.

٣- **النفس المطمئنة:** وهي التي استقرت على الطاعة فلا تكاد تأمر صاحبها بالمعاصي ولو عصت فإنها تبادر بالتوبة وهي أفضل النفوس.

والنفس البشرية كالأرض كلما حفر العبد فيها كلما ظهرت له عيوب وآفات فالطريق الصحيح لتقويمها هو أن يترك العبد نفسه حتى تظهر رائحة المرض وتفوح فيعرفه فيعالجه وإنما يعرف المرض بكثرة الخواطر المتعلقة به فمثلاً لو وجد نفسه كلما صلى بالناس دعته نفسه إلى الرياء وتحسين صوته ليمدحه الناس فليعرف حينئذ أنه مريض بالرياء وقس على هذا كما سنوضح بعد إن شاء الله.

ولإصلاح النفوس طريق لابد من سلوكه والسير فيه حتى يستطيع العبد تهذيب نفسه بإذن الله وهذا الطريق له عوائق وأساسيات وله ملامح نعرضها في هذا الكتاب بإذن الله وسيكون الكتاب في فصول:

الفصل الأول: ضرورة سلوك هذا الطريق وعوائق سلوكه

الفصل الثاني: أساسيات الطريق وهي:

١ - قراءة القرآن بالتدبر. ٢ - تقليل الشهوات

٣- المحافظة على الوقت. ٤ - ذكر الله والإكثار منه

٥- قيام الليل. ٦- التفكر

٧- الاهتمام بأعمال القلوب. ٨- الاهتمام بتنقية القلب من المفسدات.

الفصل الثالث: أنواع السالكين لطريق تهذيب النفس.

الفصل الأول:

ضرورة سلوك هذا الطريق وعوائق سلوكه:

أولاً: ضرورة سلوك هذا الطريق:

فلابد من سلوك هذا الطريق لعدة أسباب وهي:

١ - أنه الوسيلة الوحيدة لتذوق الحياة الحقيقة ـ أعني حياة التعلق بالله ومحبته والأنس به فالناس موتى إلا أهل طاعة الله وأهل الطاعة كسالى ونيام إلا أهل هذا الطريق فحلاوة الإيمان لا تذاق بالعبادات المجردة بل لابد من زهد النفس وصلاحها فكم من مصل غافل وكم من قارئ للقرآن لا يتدبره .. فأين البكاؤون عند قراءة القرآن؟ بل أين الخاشعون بين يدي الرحمن؟ قلوا في هذا الزمان ... ألهتهم الشهوات فلعب بهم الشيطان ... إخواني ... أفيقوا لمرور الأيام ... أين ما كان من سلفكم من قيام؟ أين ما كان منهم من ذكر وفكر؟ ... أين حلاوة الصيام؟ أما تستحون من الرحمن.. خلقكم للعبادة فقلتم بل للطعام .. أمركم بالزهد ووعدكم العرفان ... أما تصدقون أم عليكم تسلط الشيطان ... كم تقرؤون القرآن ولا تبكون ... وكم تصلون وما تخشعون ... وكم تصومون ولا تتقون ... وكم تعتكفون ولا تتعظون ... وكم تعرفون من العلم وما تعملون ... أما آن الأوان لأن تعملوا ... أم ماذا تنتظرون؟ وصلت مشايخكم إلى المعرفة وأنتم نائمون ... أما ذقتم الحلاوة أول التزامكم فأين ما كنتم تعملون... تعرفون السنة ولا تطبقون ... إذا كان الأطباء وهم أنتم مرضى فكيف يعالجون؟ ... الناس في حاجة إليكم أما تعلمون ... يا ثقيل البطن بالشهوات ... ويا كثير النوم في السبرات ... ويا كثير الغفلة في الخلوات ... وصل العارفون وخيموا في المعسكرات ... أما تريد أن تلحقهم؟ .. اذبح هواك واستعن بمولاك ... واسأله الهداية في خالص الأوقات.

٢- أنه الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الأمة وإصلاح الأحوال فمشكلة الدعوة اليوم ليست في قلة الملتزمين إنما هي في قلة العاملين بالعلم.

إخواني ... أعدادكم كثيرة وأعمالكم قليلة ... تعلمتم الكثير وعملتم بالقليل ... ألهتكم الدنيا كما ألهت الناس ... أين منكم شديد الباس؟ تصبحون وتنامون مهمتين برزق الأولاد ... فأين منكم العباد؟ قلتم آمنا وما ظهرت عليكم حلاوة الإيمان ... ما اقتنع الناس بكلامكم لقلة العرفان ... والله لدعوة عارف واحد خير من دعوة مائة كسلان ... لو كنتم كمشايخكم بالعلم تعملون ... لكنتم منذ سنين للشرع تطبقون ... فانظروا كيف تأخرت الدعوة بسببكم ولكن لا تشعرون.

٣- أنه الوسيلة الوحيدة لشغل الأوقات فالنفس إن لم تشتغل بالحق تكاسلت واشتغلت بالباطل فيصير العمر قليل البركة لا خير فيه ويظهر هذا أكثر عند كبر السن وبلوغ سن المعاش فتجد الغافلين من الجهلة يقضون النهار والليل أمام التلفاز وعلى المقاهي مع اقتراب وقت موتهم بينما المؤمنين من كبار السن يشتغلون بالذكر والصلاة والقرآن والفارق بينهما أن الأول غافل لم يعرف الطريق ولم يسع فيه بينما الثاني عاقل لم يعرف منذ صغره تضييع الأوقات.

إخواني ... أعمالكم أعماركم ... فكم لكم من السنين؟ كل يوم يمر ولا تزدادون معرفةً بالرحمن ... فهو وبال وخسران ... أما سألتم أنفسكم لم لا يزداد الإيمان ... طال الأمد وقست القلوب ... أعوذ بالرحمن ... خيركم من طال عمره لازدياد العرفان ... وشركم من طال عمره وهو مقيم على العصيان.

٤- أنه الوسيلة الوحيدة لأداء الوظيفة التي خلقنا الله من أجلها على أكمل الوجوه ألا وهي وظيفة العبودية ... إخواني ... ما خلقتم إلا لعبادة الرحمن فلا تقصروا في العبادات ... وما لكم إلا قلب واحد فلا تفسدوه بالشهوات ... أول الطريق معركة مع الشيطان ... وأوسطه سعادة الإيمان ... وآخره جوائز العرفان ...

من جد وجد .. ومن زرع حصد ... الصبر الصبر يا مبتدئين ... والفرح الفرح يا متوسطين ... والفرح الكامل يا عارفين.

أخي .. إن لم تتخلص من الشهوات فأنت محبوس وإن مت على هذا فأنت منكوس ... القلوب جوالة فقلب حول العرش .. وقلب حول الحش «مكان قضاء الحاجة» .. أما علمت أنه لا يأتيك عند موتك إلا ما كنت به مشتغلاً .. ولا ينفعك في قبرك إلا ما كنت معتملا .. فلا تكن كأهل الشهوات ... أوقعتهم الدنيا في شباكها فأسلمتهم إلى الذباح .. فما خرج أحد منهم إلا وهو مكسور الجناح ... وكن كالعابدين ... عرفوا حقيقة الدنيا فواصلوا الغدو بالرواح ... ما كان لهم في الدنيا مستراح ... فلما قدموا على الله قال لهم كل ما في الجنة لكم مباح ... إخواني ... عليكم بإصلاح النفوس فصلاحها والله أغلى من الفلوس ... فاز من زكاها ... وخاب من دساها ...

ثانيًا : عوائق سلوك هذا الطريق

١- **خوف الحرمان من الشهوات:** يظن الممتنع من سلوك هذا الطريق أنه لو سلكه لترك شهواته من كثرة الطعام وكثرة المنام ولفقد السعادة بترك مخالطة الأصحاب والأصدقاء ولكنها نظرة خاطئة إذ السعادة بالشهوات لا تدوم بل يعتادها القلب فلا يكاد يسعد بها بعد فترة بسبب إلفه لها بل تنقلب السعادة حزنًا وضيقا.

ويحك يا ابن آدم تخاف منا أن نضيع عليك ما تركته لأجلنا وأنت لا تنسى جميل المخلوق إليك ... من ترك لأجلنا أعطيناه فوق المزيد ... ومن أراد رضاءنا أردنا ما يريد ... ومن تصرف بحولنا وقوتنا ألنا له الحديد ..عجبا لك يا ابن آدم ... لو أمرناك بترك الشهوات بدون أجر لما جاز العصيان ... فكيف وقد وعدناك على ذلك المحبة والعرفان ... أتأتي الشهوات خوفا أن تعاني نفسك الحرمان ... تالله لو أحببتها لما حرمتها من معرفة الرحمن ...

ويحك يا نفس مالك عن طريق المعرفة تجبنين «من الجبن» أما السعادة الحق تريدين .. عجباً لك كم كنت من الشهوات تقاسين .. وكم كنت تتألمين ... فلما رزقت الهداية جعلت تتكاسلين .. ويحك أين شجاعة العابدين؟ وأين صبر المحبين؟ بل أين استعانة المتوكلين؟ من صبر اليوم عن شهواته .. نالها كلها بعد وفاته ... ومن تعجلها في حياته ... حرم من لذاته ... أنت في دار شتات فتأهب لشتاتك ... واجعل الدنيا كيوم صمته عن شهواتك .. أما سمعت عن سعادة سفيان؟ وعبادة النعمان «أبي حنيفة»؟ أين ورع معروف؟ وأين زهد ابن حنبل؟ كان بالعبادة والعلم ملهوف .. من فتح له باب طاعة فليدخل ... ومن وجد من نفسه إقبالا فلا يمهل ... لئلا تكونوا كمن كره الله انبعاثهم فثبطهم ... وقال لهم كونوا مع من يسفل.

٢- **نسيان الموت وطول الأمل:** فلو أيقن العبد أنه قد يموت في أي لحظة لما أقبل على الشهوات ولصبر عن اللذات حتى يلقى ربه على أكمل الحالات فمن أراد أن يقدم على هذا الطريق ولا يتكاسل فعليه بإدمان ذكر الموت وفي الحديث «**أكثروا من ذكر هادم اللذات**» إخواني ... الموت يأتي فجأة ... والعمر ينتهي بغتة ... فاتعظوا بإخوانكم الذين ماتوا ... يا من بدنياه انشغل ... وغره طول الأمل .. الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل .. من عاش مات .. ومن مات نسي وفات ... إلا من كان يعمل الصالحات .. لو أبصرتم العمر ومروره ... لأبغضتم الأمل وغروره ... أخي لو قيل لك ستموت اليوم فما كنت عاملاً؟ فاعمله اليوم وإلا كنت جاهلا .. مساكين أهل الغفلة ... بالشهوات يعذبون ... وعليها يحاسبون ... فلا سعدوا في الدنيا ولا في الآخرة يستريحون.

إخواني ... كونوا كعباد الله الفطن ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتن ... واجعلوا الدنيا بحرا والعبادات كالسفن.

٣- **دناءة الهمة:** فصاحب الهمة الدنيئة لا يطلب المعالي بل يرضى بحقيرها فالدافع الأساسي لخوض هذا الطريق هو علو الهمة فكن عبد الله كالأسد لا يشرب

ماء ورد عليه كلب فكذلك الشهوات مورد الدنئ من الناس فلا تشاركهم .. أما علمت أن شهوات الدنيا كالبحر لا تزيد شاربها إلا عطشا.

إخواني ... لو تعلمون ما فاتكم من لذة القيام ... لو تعلمون يا من ضيعتم الصيام ... لبكيتم الليالي والأيام.

إخواني ... أين سعد وبلال[١]؟ أين حفاظ التوبة والأنفال؟ أين قيام صلة حين قال للأسد ما قال[٢]؟ أين أمر سفيان ونهيه حين بال ما بال؟[٣] أين صدق صاحب الظلال ما هاب السيف القتال؟[٤] أين معرفة الجنيد؟ مات وأتى بعده من ضيع العهد .. أين ورع معروف؟ .. ذهب وأتى بعده من يأتي المنكر ويترك المعروف .. من أراد منكم أن يكون للمتقين إماماً .. فليكن الكتاب والسنة خداماً ... ومن أراد محبة الإله ... فليتبع رسوله الأواه .. ومن أراد الأنس بالله فليتدبر كتاب الله .. ومن أراد حلاوة الطاعات ... فعليه بترك الشهوات.

إخواني ... أما تستحون من الرحمن .. طلبتم في الدنيا الكمال ... ورضيتم في أمر الآخرة بالنقصان ... أيكم يسكن في بيت بلا أثاث وسجاد؟ عجباً له كيف يرضى أن يكون غير صائم ولا هجاد!!

٤- **عدم معرفة طبيعة الطريق:** فيظن المبتدأ أنه سيصل بعد يومين أو أسبوعين فإذا زهد ولم يجد المعرفة مل وتكاسل وعلاج هذا الأمر أن يوطن السالك نفسه على أنه يطيع ويزهد إرضاءً لله وتوفيراً للثواب في الآخرة لا طلباً للسعادة فإن عاش وصل بإذن الله وإن مات كان عند الله من أهل الطريق ثم ليعلم

---

(١) أي سعد بن أبي وقاص وبلال مؤذن رسول الله ﷺ.

(٢) أي صلة بن أشيم إذ كان يقوم ليلة فأتاه أسد فلم يخف منه بل قال له إن كان لك رزق عندنا فامض إليه وإلا فاطلب الرزق من عند غيرنا فمضى الأسد وتركه.

(٣) أي سفيان الثوري حيث قال إني لأرى المنكر فلا أغيره فأبول الدم من خشية الله فالمقصد التنبيه على علو همته وخشيته كيف بال الدم.

(٤) أي سيد قطب رحمه الله.

السالك أن طول الطريق وقصره على حسب إخلاصه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فقد يمن الله على السالك بالمعرفة مبكرا وقد تأتيه المعرفة متأخراً ولكن ليعلم المتأخر أن السعادة بالطاعة تأتي قريبا إن شاء الله وقد قال مكحول: «من أخلص لله أربعين يومًا رزقه الله الحكمة» وقال آخر: «كابدت قيام الليل سنة وتنعمت به عشرين سنة».

إخواني ... اجعلوا همكم العبادة لا السعادة ... لا تخافوا من طول الطريق .. فإن ربكم رحيم رفيق ... الصبر على الطاعة والقيام ... خير من تذوق ألم الآثام ... مشقة الطاعة ثواب ... ولذة المعصية عقاب ... كم قال العاصي مللت حياتي وكم قال الطائع حققت غاياتي ... الحياة بلا معرفة سراب ... والحياة مع الشهوات عذاب ... خلقت قلوبكم للمعرفة فلا تعذبوها ... وأهلت لليقين فلا تحرموها ... من حرم المعرفة فهو محروم ... ومن ذاقها فهو المرحوم ... من سعد بالله سعدت برؤيته النفوس ... ومن عاش للشهوات فهو منكوس ..

وسائل علاج الكسل والفتور:

١- أن يصحب المرء أناساً ذوي همه عالية يشجعونه على سلوك الطريق فيصحب من هم أفضل منه ليشجعوه على أن يكون مثلهم ولا يصحب من هو أفضل منهم لئلا يتكاسل وفي الحديث: «**المرء على دين خليله**».

٢- أن يجعل لنفسه عبادات مرتبطة بالغير لا يستطيع التخلف عنها ليجبر نفسه عليها عند الكسل كتحفيظ القرآن وتعليم الغير العلم فإذا بحيائه من الناس يمنعه من الكسل.

٣- أن يكون ديدن العبد الاستعاذة بالله من الكسل وفي دعاء النبي أنه كان يقول: «**وأعوذ بك من الكسل**» وليصدق في تضرعه إلى الله أن يصرف عنه الكسل.

٤- أن يعرف العبد تقصير نفسه فلو تعبد من باب أنه يزداد لربما تكاسل بعكس ما لو تعبد من باب تعويض النقص والتقصير الذي عنده لما تكاسل كطالب الكلية الذي لا يتكاسل أيام الامتحانات لعلمه بقرب الامتحان وشدة تقصيره أثناء السنة فكذلك العابد لو أيقن بقرب وفاته وتقصيره لما تكاسل.

٥- أن يفكر في الموت وقرب أجله وأنه ربما كان اليوم آخر أيامه فإذا به يحسن العمل وقد قال معروف: «أعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع حسن العمل» وفي الحديث: «**إذا صلى أحدكم فليصل صلاة مودع فإنه أجدر بأحدكم أن يحسن صلاته**».

٦- إذا أصابه فتور فليقرأ سير العباد في كتب الزهد ككتاب حلية الأولياء وصفة الصفوة وسير أعلام النبلاء.

٧- أن يعرف سبب الكسل ويعالجه فالبعض قد يصاب بالفتور إذا فقد لذة ما كان يجد فيقال له وطن نفسك على العبادة فإن أبت فأعلمها بطول الطريق وأنه لابد من الاختبار فهل تنال سعادة الدنيا والآخرة هكذا بلا تعب؟ ولتعلم أن العارفين وجدوا ما تجد في نفسك فصبروا وتغلبوا على الكسل حتى وصلوا إلى الله فإن صبرت لحقت بهم وإلا فلا.

والبعض قد يصيبه الفتور والملل لحنينه إلى الشهوات بعدما تركها فترة ما فنقول له لا تهدم ما بنيته في الأيام السابقة فإن البناء بطئ والهدم سريع ولعلك لا تجد إرادة للزهد في قلبك بعد فاصبر رحمك الله فهذا اختبار وامتحان فلا تسقط مكانتك عند الله.

والبعض قد يأتيه الكسل لكونه نال شهوة من المباحات ككثرة طعام مثلا فاستحقر نفسه وترك الطريق فنقول له ما لا يدرك كله لا يترك جله وقد كان الرسول يشبع أحيانا للمصلحة والحاجة والعارف الكامل من كيف قلبه على كل الأحوال فربما احتاج المرء إلى الشبع أحيانًا.

٨- ألا يترك الحد الأدنى مما يستطيع إجبار نفسه عليه لئلا تتعود نفسه على الكسل وحتى تعلم أن صاحبها لا يوافقها في كل ما تطلبه فلو تكاسل مثلاً عن قيام الليل قلنا له قم بأقل من وردك مع التدبر فإن لم تستطع فلتقم بأكثر من وردك بلا تدبر فإن لم تستطع فلتقم بأقل من وردك مع إطالة الركوع والسجود وإن لم تتدبر وعلى العموم لا يترك المرء شيئاً مما تستطيعه نفسه ولو بقهرها عليه والله المستعان.

٩- أن يستغل العبد وقت الفتور فى الطاعة ولا يخلو أمره من حالتين:

أ- يأتيه الفتور كثيراً وهذا حال المبتدئ فنقول له اجعل أعمالك اللازمة في وقت الفتور كصلة الرحم وزيارة إخوانك في الله وغيرها.

ب- قليلاً ما يأتيه الفتور فنقول له اجعله في جمع أوراق العلم أو تحضير أوراق الدراسة ولا بأس بجعله في صلة الرحم وإنما لم أقل بجعله في صلة الرحم ابتداءً لأن صاحب هذه الحال قليلاً ما يأتيه الفتور وصلة الرحم ليست عملاً هامشياً إن توفر له وقت فعل وإلا فلا بل هو عمل أساسي لابد من تنظيم وقت له فنقول لصاحب هذه الحال لو أردت جعل وقت فتورك في صلة الرحم بجانب وقتك الذي خصصته لصلة الرحم فلا بأس فالإكثار من صلة الرحم خير إلى خير إلا أنه لابد من مراعاة حال الناس وعدم مضايقتهم بكثرة الزيارة.

١٠- أن يعلم بأن الفتور اختبار وسيزول قريباً إن شاء الله لو صبر فلا يجزع ولا ييأس بل ليستبشر خيراً فإن إيمانه سيزداد لو نجح في الاختبار.

يا نفس اصبري رحمك الله ... لا تعودي إلى دنس الشهوات ... إن فعلت سعدت قليلاً ثم تأتي الحسرات ... إخواني ...إرادة الطاعة في القلب عزيزة فلا تضيعوها ... والنفس طلاعة إلى الشهوات فلا تطيعوها ... الفتور سنة ماضية ... فمن صبر كان له منحة عالية ... ومن جزع فالشهوة فانية ... إخواني ... قد علقت بمعرفتكم الآمال فلا تخيبوها ... والنفس تزكوا بالصبر فلا تدنسوها ... أتريدون

المعرفة بلا اختبار؟! كيف وهي صفة الأبرار!! قيامكم الليل بلا تدبر خير من نوم الآكلين ... وصلاتكم بلا خشوع خير من كسل المتكاسلين ... فإن أصابكم فتور فالصائم والقائم خير من المتهاونين ... من ترك العبادة لفقدان لذته ... فقد ظهرت حقيقة طاعته ... كأنما كان يعبد نفسه ولذته ... خاب من كانت هذه عبادته ...





الفصل الثاني: أساسيات الطريق

١- قراءة القرآن بالتدبر

فالسالك لطريقه المعرفة بلا قرآن كالمجاهد بلا رماح وسنان وقد قال وهيب بن الورد: «بلوت الأعمال عملاً عملاً فما وجدت أصلح لنفسي من قرآة القرآن بتدبر».

أسباب عدم تدبر القرآن

١- كثرة المعاصي فالقلب كالمرآة فلو كان نظيفاً من المعاصي لظهرت فيه حلاوة القرآن وقد قال عثمان: «لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم».

٢- الانشغال بالشهوات خاصةً امتلاء المعدة بالطعام فإنه يكاد يستحيل تدبر القرآن معه لتسلط الشيطان على القلب ومنعه من التدبر والتفهم.

٣- قلة القراءة للقرآن فيصاب الإنسان بالفتور بعد فترة من قراءته بل ربما قرأ ربعين فيتثاءب.

٤- قسوة القلب بسبب طول الأمل ونسيان الآخرة فلا تكاد تبكي العين لقرآة القرآن «وقد مر أبو بكر برجل يقرأ القرآن ويبكي فقال هكذا كنا ثم قست القلوب».

٥- عدم التأدب بآداب القراءة من وضوء واستقبال القبلة والسواك والتربع أثناء القراءة.

٦- الإسراع بالقراءة وعدم جعل التفكر والتفهم لمعاينة أكبر الهم مما يؤدي إلى عدم التدبر والذي ينبغي أن يتمهل العبد في قرآته ليفهم ما يقرأ وقد دخل رجل على ابن مسعود فقال قرأت المفصل البارحة فقال له «أهذاً كالشعر» ودخلوا على بعض العارفين فقالوا إنا لنختم القرآن في كذا وكذا فقال: «أما أنا ففي سورة هود منذ ستة أشهر لم أتجاوزها» وقال ابن عباس: «صلاة ركعتين في تفكر خير من قيام ليلة» أي لو كان قيام الليلة بلا تدبر.

٧- عدم معرفة معاني آيات كتاب الله سواء من التفاسير المعتمدة عند أهل السنة أو من أقوال العارفين في لطائف بعض الآيات.

٨-عدم اختيار الأوقات المثلى للقراءة كبعد الفجر أو بين المغرب والعشاء أو بعد العشاء إلى آخر الليل إذ يكثر نشاط النفس فيها ويسهل التدبر.

إخواني ... لا يمس القرآن إلا المطهرون ... ولا ينال لذته إلا الصالحون ... من قرأ منكم القرآن فليبك الدموع مدراراً ... فإن لم يستطع فليتحسر على نفسه ليلاً ونهاراً ... إن كنتم تزعمون حب الله فلم تركتم كتابه ... أما تأملتم ما فيه من لطيف عتابه ... يسر لكم ربكم التفاسير ... فأين القارئون ... وقال في كتابه ألم يأن ... فأين الخاشعون ... من مات قبل تدبر الكتاب فما عاش ... ومن تدبره على كبر فهذا أعظم معاش ... ومن تدبره على صغر فهذا تعويض ما ترك من شهوات ... ما ذهب بلاشي ...

خطوات التدبر:

١- أن يكثر المرء من قراءته للقرآن جداً ليزيل الجفوة بينه وبين كتاب الله ويا حبذا لو قرأ يومياً ثلاثة أجزاء.

٢-إذا أحس بزوال الجفوة وعدم شعوره بالملل من كثرة القراءة خصص لنفسه مقداراً ما يقرأه على مهل ويتدبر فيه وليكن هذا المقدار حزباً فإن شعر بالملل من مواصلة محاولة التدبر فليجزء الحزب على اليوم في فترات متباعدة.

٣- إذا أحس بسهولة التدبر جعل الحزب متصلاً ثم يزيده حتى يصل إلى جزء.

وللعبد في القراءة أوراد فورد للتدبر وورد للقراءة من المصحف نظراً تثبيتاً للحفظ وتحصيلاً للثواب ففي الحديث: «**من سره أن يحب الله فليكثر من النظر في المصحف**» وورد للمراجعة وله توزيع الأوراد على مدار اليوم وإن جمعها كلها ليلاً في صلاته ليقوم ثلث الليل لكان أفضل والله أعلم.

٢- تقليل الشهوات وهي:

أ - شهوة الطعام.

ب- شهوة الكلام.

جـ- شهوة المنام.

د - شهوة الاختلاط والتعلق بالناس.

هـ - شهوة فضول المعرفة.

أ - **شهوة الطعام:** فإن المعدة متى امتلئت بالطعام تكاسل الإنسان عن العبادة «ودخل عابد على جماعة في بيت المقدس فقال لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فتناموا كثيراً فتخسروا كثيراً». والامتلاء سبب لقلة الفطنة كما قال الشافعي: «إذا امتلئت المعدة غابت الفطنة».

فوائد قلة الطعام:

١- سبب لتذوق حلاوة الإيمان فعن عمر أنه قال: «من أراد أن يتذوق حلاوة الإيمان فلا يأكل كثيراً».

٢- سبب لكل خير في الدنيا والآخرة فقد قيل: «جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه قلة الطعام وجعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه كثرة الطعام» ومتى أكل العبد كثيراً تسلط عليه الشيطان فكان سريع الغضب قاسي القلب والعياذ بالله. فالقلب الرقيق لا يجتمع أبداً مع امتلاء المعدة على الدوام كما سيأتي إن شاء الله.

٣- أنه سبب لتذكر الفقراء والمساكين وعدم نسيانهم. فيرق القلب فيتعظ بالمواعظ وينتصح بالنصائح بعكس ثقيل المعدة فإنه لا يكاد يذكر الفقراء بل ويقسو قلبه فلا يكاد يتعظ بموعظة.

٤- سبب لنيل الثواب كاملا في الجنة فمن أخذ حظه في الدنيا كان من نصيبه في الآخرة ومن لم يفعل كان نصيبه كاملا في الآخرة وفي الحديث: «**من أراد الدنيا أضر بالآخرة ومن أراد الآخرة أضر بدنياه**» فآثروا الباقي على الفاني رحمكم الله وقال ابن عمر: «ما من عبد ينال حظاً في الدنيا إلا كان من نصيبه في الآخرة ولو كان على الله كريمًا» وقال عمر: «لو شئت لكنت من أطيبكم ملبسًا وأحسنكم طعامًا ولكني سمعت الله عير أقواماً فقال: «أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها» وروى موقوفًا أيضًا عن عائشة [بسند صحيح].

٥- أنه سبب للفتوحات الربانية والمعارف الإلهية والعلوم الربانية فإنها لا تهدى إلا لصاحب جوع لا لشبعان ثقلان فالشيطان أبعد ما يكون من الجائع وأقرب ما يكون من الشبعان ولذلك يقول النبي ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا عليه بالصيام**» [صحيح سنن أبي داود].

معنى تقليل الطعام:

ليس المقصود كما فعلت الصوفية أن يمتنع الإنسان من أكل الطيب أو ما يحب كما قال أحدهم: «أشتهى اللحم منذ سنين وما أكلته» فهذا خطأ فالزهد أن تأكل من كل شيء ولا تشبع على الدوام من أي شيء والرسول ﷺ لم يكن يمتنع من أكل شيء ولكن كان لا يشبع إلا نادراً.

والعباد في هذا على درجات:

١- من يكثر الصيام ولكنه يشبع في فطوره وسحوره فإذا لم يزد على الشبع وداوم على هذا فهو على خير ونرجو له الوصول بإذن الله بشرط عدم الزيادة على الشبع وعدم وجود التخمة وبشرط أن يكون محتاجاً لهذا الأكل لمزيد عمل ونحوه لا لمجرد التخمة والله المستعان.

٢- من هو قليل الصيام ولكنه لا يشبع في أكله وهذا حال كثير من أهل الخير الذين أعرفهم وقد قال ابن مسعود: «كثرة الصيام تمنعني من قراءة القرآن، والقرآن أحب إلي» ومثل هذا يصل بإذن الله لو التزم الطريق.

٣-من يكثر من الصيام ويأكل في إفطاره قليلاً ليتدبر في قيامه ويزيد في سحوره قليلا ليتقوى على صيامه وهذا خير ممن سبق وليس معنى أكله في السحور أن يمعن في الشبع بل يأكل أقل من الشبع بقليل.

٤-من يكثر من الصيام ويأكل قليلاً في الإفطار والسحور معاً وهذا أكمل الجميع لمن قوى على ذلك والمقصود من قلة الطعام أن يستطيع القيام بالعبادات وأشغال الدنيا بلا تعب دون أن يزيد على ما يقويه على هذا.

مما يعين العبد على تقليل الطعام:

١- تصغير اللقمة وكثرة مضغه للطعام.

٢- تذكر العبد للفقراء الذين لا يجدون ما يأكلون.

٣- استحضار العبد أنه عاص لا يستحق أكلاً فإذا به يرضى بأي طعام ويحمد الله عليه.

٤- إذا لم يستطع العبد تقليل طعامه مرة واحدة تدرج في تقليله شيئًا فشيئًا.

٥- ألا يأكل إلا عند الجوع لا لمجرد حبه وشهوته.

٦- يهذب نفسه فيأكل الفاكهة والعصائر في أوقات جوعه لا بعد شبعه من الطعام.

٧- يشغل نفسه بالحق فالنفس الفارغة تتطلع إلى الشهوات والمشغولة لا تكاد تتفرغ للتفكير فيها.

ب - **شهوة الكلام:** فإنه إذا كثر الكلام بغير ذكر الله بعد القلب عن الله وصعبت عليه الطاعة ومتى قل كلامه استطاع ضبط نفسه فمن ملك لسانه فهو

من الملوك ومن ضبط لسانه فهو لدينه أضبط وفي الحديث: «**وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم**» وقال بعض السلف: «ما من شئ أحق بطول حبس من اللسان» وقال لقمان: «الصمت حكمة وقليل فاعله» وفي الأثر: «من صمت نجا» وفي منثور الحكمة: «العاقل يتكلم بعد أن يفكر في كلامه والجاهل يتكلم ثم يفكر في كلامه» وقال الفضيل: «أعرف من يعد كلامه من الأسبوع إلى الأسبوع» وقال بعض الحكماء: «يا بن آدم لا تكثر الكلام فإن الكلام إذا خرج لا يعود» وقال عمر بن عبد العزيز: «من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه ومن لم يعد كلامه من عمله كثر كلامه» وفي الحديث: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**» [رواه البخاري] فالكلام المذموم ما كان في غير طاعة الله أو كان لا فائدة فيه. وقال بعض السلف: «إذا أردت أن تتكلم فاسكت وإذا أردت أن تسكت فتكلم» يعني إذا خفت على نفسك الرياء ولم يكن في الكلام مصلحة راجحة فلا تتكلم.

جـ - **شهوة المنام:** فإنه متى كثر النوم قسا القلب وضاع الوقت النفيس ومتى قل النوم تمكن العبد من أداء وظائف العبادات وقال بعض السلف: «اللهم اشفني من النوم باليسير» فكأن النوم مرض وقال آخر: «لولا أن النوم جبلة لدعوت الله ألا أنام» وقالت أم سليمان عليه السلام له وهو صغير: «يا بني لا تكثر النوم من الليل فإن كثرة النوم بالليل تجعل الرجل يوم القيامة مفلساً» وقال تعالى عن العابدين: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ وفي الحديث: «**من خاف أدلج**» وهو السير بالليل كأن الخائف من الله يتعبد ليلاً ونهاراً ليصل إلى الجنة. وليس المقصود من قلة النوم أن يقلله الإنسان بحيث يتأذى ولكن المقصود أن يقلله قدر ما يستطيع ولكن لا يزيد عن ٨ ساعات ولو نام خمس ساعات لكان خيراً كثيراً والله المستعان، ومن الخطأ الإكثار من السهر بحيث يصلي الإنسان الفجر وهو كسلان متعب فالفرض أولى بالاهتمام من النفل.

كيفية تقليل النوم:

١- تقليل الطعام فإن المعدة متى ثقلت وامتلأت نام الإنسان كثيراً ومتى قل الطعام قل النوم.

٢- يقلل عدد ساعات نومه تدريجياً ولا بأس أن يستعمل أدوية الصداع لو شعر بوجع رأسه حتى يتعود على قلة النوم «والنفس ما عودتها تعود».

٣- يوزع النوم على مرات ليسهل عليه التقليل وكلما دعته نفسه إلى المنام سوفها بالفترة الثانية وأفضل أوقات النوم ما بين الظهر والعصر وبالليل فمن الخطأ سهر الليل كله وفي الحديث: «**ما قام رسول الله ليلة كاملة يحييها**» صحيح سنن النسائي. ولا حرج إن شاء الله أن ينام الإنسان متى شاء طالما لم يخل بالصلوات ولكن الأفضل ما قدمنا من أوقات ونوم الليل جبلة وسنة كونية فالأفضل عدم تغييرها إلا في المواسم كالعشر الأواخر من رمضان.

٤- الخوف والاهتمام بأمر العبادة فإنه متى خاف الإنسان واهتم بشيء قل نومه وقال بعض السلف: «خوف جهنم أطار النوم من أعين العابدين» وقال بعضهم: «لو تأملتم خلود الكفار في النار لما نمتم ليلا ولا نهاراً» والطالب في الدراسة لا ينام أثناء امتحاناته إلا قليلا فكذلك فليكن طالب الآخرة..

د - **شهوة الاختلاط والتعلق بالناس:** فإن العبد متى تعلق بغير الله ضاع حظه من الله وتقطع قلبه على الدنيا حسرات ومتى تعلق بالله أتاه الخير من كل جانب وليحذر الداعية والعابد والعالم من كثرة المخالطة فإنه لابد أن يجعل لنفسه وقتاً يخلو فيه بالله وفي الحديث: «**وابك على خطيئتك وليسعك بيتك**» وليس المعنى ترك مخالطتهم واعتزالهم فلا يجد الجهال من يعلمهم ولا العصاة من يعظهم ولكن المقصود ألا يكثر المرء من الخلطة وفي الحديث: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم**»

وليحذر العباد من التعلق بأشخاص يعجب بصورهم ولم كانت الزوجات فالمؤمن لا يتعلق بغير الله وليحذر الدعاة أن يتعلقوا بشخص لا تقوم الدعوة إلا عليه فها هو رسول الله ﷺ أعظم الدعاة يموت وتستمر الصحابة على طريقته وينشرون الدين من بعده فالأشخاص آلة اختارها الله لنشر دينه والدين قائم بهم أو بغيرهم.

فوائد مخالطة الناس:

فبعض الناس بطبيعة عمله كداعية أو عالم يعلم العلم قد يضطر إلى مخالطة الناس أكثر من غيره فتقول له لا تنس أن تجعل لنفسك وقتاً تتفرغ فيه وفي الأثر: «حق علي العاقل ألا يغفل عن ٤ ساعات: ساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخالط الناس فيما لابد له منه وساعة يخلو فيها بربه وساعة يستجم بها ليتقوى على بقية الساعات» ثم نقول له من الممكن أن تستغل هذه المخالطة فيما تنتفع به لتكون فائدة لك لا وبالا عليك وذلك بوسائل:

١ - أن يستغل المرء خلطته وتعامله مع الناس ليكتشف عيوبه وأخلاقه التي لا تظهر إلا بالمعاملة فإذا عرف عيوبه هذب نفسه وقومها ـ ومعرفة هذا لا تستطاع إلا بالمخالطة.

٢ - أن يعود المرء نفسه على احتمال أخلاق الآخرين وطباعهم فيكون قد نال مرتبة حسن الخلق فحسن الخلق ليس بالإحسان إلى من أحسن إليك ولكنه الإحسان إلى من أساء إليك فكأن حسن الخلق لا يظهر إلا بالمخالطة.

٣- بالمخالطة يتمكن الإنسان من دعوة الناس إلى الله وتحفيظهم القرآن وتعليمهم العلم ومن خلال حسن خلقه معهم يكسب حبهم له فيستطيع إقناعهم بكلامه ولكن ليحذر من التعلق بمخلوق غير الله مهما كان فإن القلب المتعلق بغير الله لا يصل إلى الله ولعل هذا من أكبر آفات كثرة المخالطة بين الإخوة والأصدقاء أعني أن تتعلق قلوب بعضهم ببعض بصورة مبالغ فيها والله المستعان.

هـ - **فضول المعرفة أو حب الفضول**: وعلامته ألا يزال المرء طالباً لمعرفة كل شيء عن غيره فلا يرى قوما يتكلمون إلا وسألهم عن كلامهم أو ربما استمع إليهم وتصنت أو تجسس عليهم.

● وعلامته كذلك محاولة التدخل في أمور الناس الخاصة مع عدم طلبهم منه ذلك وهذه شهوة ذميمة تسبب للعبد المذمة عند الناس قبل ذم الدين وفي الحديث: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» وقد قال بعض الحكماء: «من تدخل فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه».

● ومن مظاهر ذلك أيضاً أن ينظر إلى الناس وهم يأكلون ليعرف ماذا يأكلون وكم يأكل أحدهم وكيف يأكل وغير ذلك من دنايا النفوس أعاذني الله والمسلمين منها.

موعظة:

إخواني ... من صام اليوم عن شهواته ... أفطر عليها بعد مماته ... ومن تعجلها في حياته ... حرمها بعد وفاته ... فليكن طعام أحدكم الزاد ... واستعدوا بالطاعة ليوم المعاد ... ما وصل إلى الله شبعان ... وما تعبد ولا اجتهد كسلان ... من كان الله عنده أعظم من اللذات ... كان عند الله خير البريات ...

إخواني ... أصلح ما فيكم القلب واللسان إذا طهرا ... وأخبثه القلب واللسان إذا خبثا ... فطوبى لمن ملك نفسه ولسانه ... وخاب من كان أمله أمامه ... لسانكم طلاع للكلام ... فاشغلوه بالذكر عن الآثام ... ذكر الله دواء ... وذكر الناس داء ... وفي القرآن الشفاء.

إخواني ... من نام منكم بلا نية فقد انقطع عن العمل ... ومن انتوى فقد عمل وعمل ... من استطاع منكم ألا ينام إلا قليلا فليفعل ... ومن استطاع أن يختم القرآن في سبع فلا يبخل ...

إخواني ... النوم مكسلة والأكل مثقلة ... والعبادة مسعدة ... فطوبى لمن كانت حياته كلها طاعات ... وكان نومه وأكله عبادات ... فالوقت غالي ونفيس ... فيا حسرة على ما ضاع في النوم الرخيص ... ستنامون في قبوركم كثيراً ... فلتناموا في حياتكم قليلا ... أنتم عبيد لسيد لا ينام ... فبئس العبد من أكثر النوم وسيده لا ينام.

٣- المحافظة على الوقت

فإنه رأس مال الإنسان فكيف لا يحافظ عليه قال الحسن: «صحبت أقواماً كان أحدهم أبخل بالوقت منكم بالدرهم» وقال الشافعي: «سمعت الصوفية يقولون الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك» وقيل لبعض السلف قف نكلمك فقال: «أوقفوا الشمس ومضى»، ومر بعض السلف بقوم يلعبون فسألهم فقالوا فرغنا فنلعب فقال: «ما بهذا أمر الفارغ» يقصد قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ ودخل قوم على معروف الكرخي فأطالوا الجلوس عنده فقال ألا تقومون إن ملك الشمس يجرها جراً لا يفتر .. إخواني .. إنما أنتم أيام معدودة إذا ذهب البعض ذهب الكل فاغتنموا العمر يرحمكم الله .. يا ابن آدم كل يوم على عملك شهيد .. فاغتنمه فإنه لا يعود .. الليل والنهار يعملان فيك.. فاعمل فيهما بخير ما استطعت .. من أساء بالليل فليحسن بالنهار .. ومن أساء بالنهار فليحسن بالليل .. الدنيا مراحل فنازل وراحل .. فمن كان بالخير نازلاً كان إلى الخير راحلاً ..

إخواني .. الثانية في الدنيا بملايين ملايين السنين في الآخرة فانظروا كم ضيعتم من السنين .. إخواني .. لا يفترق عامل عن عامل يوم القيامة إلا باستغلال الأوقات .. فطوبى لمن يحافظ على اللحظات ... ويا لندامة من ضيع السنوات .. إخواني .. العمر قصير .. والعمل كثير .. فاعملوا الجاريات[1] فإنها مباركات ... خيركم من تعلم القرآن وعلمه .. فله ثواب من حفظه وفهمه.. ومن أحسن عملاً

---

(١) أي الأعمال التي يبقى ثوابها للمرء بعد موته كتعليم وتحفيظ القرآن وبناء المساجد والصدقات الجارية.

ممن دعا إلى الله .. هو والله ولي الله وحبيب الله .. تعلموا العلم وعلموه الناس ... وخذوا الدين بقوة وباس .. وأقلوا من الشهوات .. فإنها للوقت مضيعات .. وللقلوب مفسدات .. ولبركة الأعمال مفسدات .. واستعينوا برب البريات ...

إخواني ...لا يكن أحدكم يدور على الدنيا بالنهار .. وينسى الاستغفار بالأسحار.. سعي الدنيا لابد منه فعليكم بالنيات الصالحات .. تكن حياتكم كلها طاعات .. طوبى لعبد لم ينس عند النوم والأكل والزواج النوايا .. فكفرت عنه الذنوب والخطايا ..

٤- الذكر:

فهو أساس المحبة وسبب المعرفة ولم يأمر الله به فقط بل أمر بالإكثار منه فقال: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] وفي الحديث: «**سبق المفردون**» قيل ومن المفردون قال: «**الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**» [رواه مسلم] وفي مختصر منهاج القاصدين: «بالذكر والفكر تنال معرفة الله» ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره فمن زعم منكم محبة الله فليكثر من ذكره ... ومن ذكر الله اطمأن قلبه وهزم عدوه .. ذكر القرآن ذلك كله ..

آداب الذاكر:

١- أن يكون متوضئاً مستاكاً مستقبل القبلة متربعاً .

٢- أن يتدبر ويتأمل ما يذكر ومن جاهد شاهد ومن ذاق عرف ومن عرف اغترف.

٣- أن ينتبه لئلا يتشتت عقله أو يغفل قلبه أثناء الذكر فيضيع الوقت بلا فائدة، وليعلم الذاكر أن ثواب الأذكار الوارد إنما هو لمن تدبر فلا يقال هذا ذاكر إلا لمن استحضر بقلبه أما الغافل اللاهي فلا .. وإذا كان الله لا يقبل الدعاء عن قلب غافل فالذكر أولى ـ نعم من ذكر بلسانه فقط له ثوابه ولكنه أنقص من الثواب الوارد في الأحاديث.

٤- أن يستغل أوقات الفراغ في ذكر الله كمشيه في الطريق أو إلى عمله أو في ركوبه المواصلات وإن لم يستطع التدبر في أوقات العمل لإرهاق أو نحوه فلا بأس فالذكر بدون تدبر خير من ضياع الوقت في غير عمل.

٥- أن يستحضر أثناء ذكره أن الله مطلع عليه ويسمع كلامه وأنه يخاطب الله بهذا الذكر فهذا أكبر أسباب التدبر.

٦- ألا يكثر من النظر إلى الأشياء أو تقليب البصر أثناء الذكر بل ليكن خاشعاً متواضعاً مطرقاً متدبراً فالنظر رائد القلب فإذا تشتت البصر تشتت القلب. وليحذر العابد عموما من كثرة تقليب البصر فإنه يذهب هيبة القلب وحلاوة اليقين وربما جره إلى النظر إلى المحرمات.

٧- أن يتباعد عن أسباب الكسل ككثرة الطعام أو أن يذكر وهو مضطجع فينام على نفسه دون أن يقول الأذكار وفي الحديث: «**يأتي الشيطان أحدكم فينومه قبل أن يذكر**» [رواه أبو داود وصححه الألباني].

٨- ألا يرفع صوته بالذكر فإنه أقرب إلى التدبر إلا حيث شرع ذلك وليكن بعيداً عن نظر الناس قدر المستطاع لئلا يفتح على نفسه باب الرياء.

٩- يطلع على ثواب الأذكار العامة والخاصة الواردة في كتاب صحيح الترغيب والتذهيب.

إخواني من ترك أذكار المساء والصباح ... فقد أضاع أساساً للصلاح ... ومن أكثر منكم الذكر ... كان له كالمصباح ... ومن أكثر التهليل ... رزقه عند موته من الجليل ... ومن عاش بالقرآن ... أتم ختامه عند موته منة من الرحمن(١) .. أما سمعتم بمن أكمل ختمته عند موته .. بل وجد من بدأ عند الموت

(١) أعني ما ورد عن بعض السلف أن إخوانه دخلوا عليه عند موته وهو يقرأ القرآن فقالوا لو استرحت فقال هي ختمتي أكملها فمات وهو يقرأها.

بورده[١] .. هكذا فضل الله على عبده ... أكثر ما ينجي من النار ... ذكر الواحد القهار ... هكذا قال الرسول ... فلا تتركوا الأذكار ... إخواني ... الذكر بلا تدبر ثوابه ناقص ... ولكنه خير من الغفلات ... وقيام ليلة مع السهو ناقصة ... ولكنها خير من نوم السبرات ...

٥- قيام الليل

وهو أساسي لمن أراد المعرفة يقول الله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذريات: ١٦، ١٧] وفي الحديث: «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم**» ولأهميته كان فرضاً في أول الإسلام ثم نسخ وصار سنة مؤكدة.

آداب قيام الليل:

١- ألا يكثر من الطعام لكي يسهل عليه تدبر آيات القرآن فإن المعدة إذا ثقلت تسلط عليه الشيطان وصعب على القلب تدبر القرآن.

٢- ألا يكثر أثناء يومه من السعي إلا فيما ينفع لكي تبقى فيه قوة لقيام الليل ولكي يسهل عليه الاستيقاظ.

٣- أن يتبع السنن المتعلقة بقيام الليل من أذكار يقولها أو ركعتين خفيفتين يبدأ بهما أو سواك وغيرها مما ذكر في كتاب الأسباب الميسرة لقيام الليل للشيخ وحيد عبد السلام بالي .

٤- يتدرج مع نفسه في الصلاة فيبدأ مثلاً بربع في الركعة ثم يزيد شيئاً فشيئاً.

(١) أعني ما ورد عن بعض السلف أنهم دخلوا عليه وهو في سكرات الموت فقالوا له قل لا إله إلا الله فقال دعوني فإني بدأت الآن في وردي السادس.

٥- يراعي كون كثرة القراءة مع قلة عدد الركعات أفضل من الزيادة على إحدى عشرة ركعة ولكن لو شق عليه ذلك في البداية فلا بأس بالزيادة على إحدى عشر ركعة ليقرأ أكثر.

٦- أن يتدبر أذكار الصلاة ويخشع ويتضرع ويتأمل ما يقول فهو أكبر سبب لخشوعه في الصلاة.

٧- أن يطيل بين السجدتين من الاستغفار والتوبة على تقصيره فيما مضى من تركه لقيام الليل وعلى تقصيره الآن في شكر نعمة قيام الليل.

٨- أن يكثر من ثناءه على الله ويطيل الصلاة فهذا قوته وغذاؤه خاصة مع تقليله من الطعام.

٩- أن يتضرع إلى الله بالمنة عليه بالثبات على هذه العبادة كل ليلة.

١٠- أن يزيد من وقت الليل تدريجيا فأقل ما ينبغي للعارف قيام ثلث الليل والله أعلم وأقل ما يقوم به المبتدئ عشر آيات في الركعة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل: ٢٠] ولم يذكر أقل من الثلث وفي الحديث: «**من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين**» [صحيح الجامع ٦٤٣٩].

١١- أن يعيد الآيات ليفهم معانيها أكثر فقد قام النبي ليلة كاملة بآية واحدة يرددها.

١٢- يتفهم ويتدبر أسماء الله وصفاته من خلال تدبره للآيات فهذا باب عظيم النفع جداً ومن خلال فهمه للتفسير مع خلو معدته وتكرار الآيات تكون الفتوح الكثيرة بإذن الله.

١٣- أن يقرأ القرآن كلمة كلمة كما كان يفعل النبي ولا يكن همه كثرة الآيات بل تدبرها وتأثيرها في قلبه.

١٤- يختار الوقت الذي لا يتكاسل فيه فإن كان يغلب على ظنه الاستيقاظ آخر الليل أخره إلى آخر الليل فإن كان مبتدءاً ويخشى من عدم الاستيقاظ جعله قبل أن ينام.

١٥- أن يصبر ولا ييأس إن لم يجد الحلاوة في البداية وقد قال بعض السلف كابدت قيام الليل سنة وتنعمت به عشرين سنة وليعلم أنه قد يجد الحلاوة في البداية ليعلمه الله حلاوة ما سيناله لو داوم ثم يفقدها اختبارا من الله له هل يصبر أم يجزع.

١٦- إن أصابه الفتور داوم على الحد الأدنى الذي يقدر عليه على ما فصلنا من قبل.

تنبيه:

من لم يستطع قيام الليل لطبيعة عمل أو لإرهاق وكذلك من نام عن حزبه عن غير عمد فليعوضه أثناء النهار بقراءة القرآن وصلاة النوافل من الضحى وغيره وفي الحديث: «**من نام عن حزبه من الليل فقرأه بين صلاة الصبح وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل**» [صحيح النسائي] وما لا يدرك كله لا يترك جله والمقصود من قيام الليل عبادة القيام نفسها مع ما فيها من تدبر للقرآن وصلاة وتعبد فإذا فات وقت الليل لم تفت إمكانية التدبر والصلاة بل قال بعض السلف: «قراءة القرآن بعد الفجر أنفع للقلب من الليل» فمن لم يستطع قيام الليل لعذر فليعوضه بالنهار وليكثر من ركعات الضحى والصلاة بين الظهر والعصر تعويضا .. وقد قال بعض السلف: «من فاته الخير بالليل فعنده بالنهار مستعتب، ومن فاته الخير بالنهار فعنده بالليل مستعتب» وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾

[الفرقان: ٦٢].

إخواني ... من ضيع منكم قيام الليل فيما مضى .. فليحافظ فيما بقي .. فما في الدنيا لذة إلا في الطاعات ... وأحلاها والله قيام الليل في السبرات .. من عاش منكم بلا قيام كيف يعيش .. طوبى لمن نور قبره بقيام الليالي الماضيات ...وخسر والله من ضيع الليل في النوم والغفلات ... لو يعلم الراقد ما فاته وأي مجد هد أبياته .. لبكى ندماً ما بقي على عظم ما فاته..لعظم أهميته كان فرضاً على الصحابة العاملين .. فكيف ونحن من الغافلين .. يا أقدم القائمين اركعي واسجدي .. يا نفوس العارفين بغير الله لا تقنعي .. يا ذنوب المستغفرين بالسحر لا ترجعي .. يا أرض الهوى ابلعي ماءك ويا سماء الذنوب أقلعي .. يا خواطر العارفين بالليل ارتعي .. يا غفلة الغافلين اخسئي .. يا قلوب القائمين اخشعي .. يا غيوم الكسل تقشعي .. إخواني إذا حضر الليل فما منكم أحد إلا وقد دعي .. فطوبى لمن أجاب ... وخاب من طرد عن الباب .. نوم السحر معطر برائحة القرآن والقيام.. فلا تفسدوا عبيره بالذنوب والآثام .. إخواني .. من لم يجب ويقم الليل فلا يلومن إلا نفسه .. كم نصح فما قبل النصح .. وكم دعي إلى المصالحة فما أجاب إلى الصلح ... كم شاهد الواصلين إلى الله وهو متباعد .. وكم مرت به زمر السائرين وهو قاعد .. يا ليل لا تمض وترفق .. دموع العارفين تدفق.. قلوبهم من ألم الفراق تشقق.. إخواني .. من تكاسل الليلة ونوى أن يقوم الليلة القادمة من أدراه أنه سيوفق .. قلوب المحبين إلى الليل تحن .. ومن ألم انقضائه تئن .. إخواني .. ذهب من الليل الكثير وما قمتم ... وقد كتب عليكم ما أضعتم .. وكأنكم بالمشمرين قد وصلوا وانقطعتم .. إخواني .. أما تشتاقون إلى حلاوة المناجاة .. من لم يذق حلاوة نجواهم لم يدر ما الذي بكاهم.. الخلوة بالله شفاء القلوب ونهاية المطلوب .. خسر والله كل محجوب.. أما تدرون حال القائمين .. تبكي عيونهم .. وتضحك قلوبهم .. صدرهم مشروح وقلبهم مجروح.

٦- التفكر:

هو فريضة بعد الفريضة لأمر الله تعالى به: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس: ٢٤] والأمر للوجوب وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلى أن قال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] وقال ﷺ عن هذه الآيات: «**ويل لمن قرأهن ولم يتدبرهن**» وسئلت أم الدرداء عن عبادة أبي الدرداء فقالت: «كان صمته فكراً ونطقه ذكراً ونظره عبراً» ومن أدمن التفكر وصل إلى المعرفة ولو بعد حين. وليس للتفكر وقت محدد ولا مقدار معين ولكن المؤمن يتعاهد نفسه كلما وجدها محتاجة خاصة عند وجود غفلة أو فتور وكذلك عند وجود أسباب الفكر من تواجد العبد في خلاء أو عند البحر مثلاً ولكن على العبد ألا يخلي أسبوعه من فكر ... أما التفكر في الموت .. فليكثر منه العبد لقول النبي ﷺ: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات**» والإكثار من ذكر الموت بأن يكون كما قال ابن عمر: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح».

مجاري الفكر:

أ - **ذكر الموت:** وهو سنة مؤكدة بل الإكثار منه سنة مؤكدة ففي الحديث: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات**»

فوائد ذكر الموت:

١- سنة مؤكدة ثوابها عند الله كبير وفي الحديث: «**لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**» رواه البخاري.

٢- سبب لزيادة الأعمال الصالحة فمن أكثر من ذكر الموت استعد له وعمل الصالحات والعكس بالعكس.

٣- سبب لتمني الشهادة فالعبد لو تذكر الموت وشدته وألمه وسكرته وعرف أن الشهيد لا يجد من ألم الموت إلا كمس القرصة هانت عليه الشهادة وتمناها كيلا يتألم بسكرة الموت فلو لم يكن في ذكر الموت إلا هذه الفائدة لكفى.

٤- سبب لرقة القلب ولينه وقد شكت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها قسوة قلبها «فأمرتها بذكر الموت فكانت من ألين الناس قلباً» ومن رق قلبه خشع في صلاته وانتصح بالنصائح واتعظ بالمواعظ.

٥- سبب لكرامة الله لعبده فربما ألهمه الله قرب وفاته ليستعد أكثر وأكثر وشاهد ذلك ما حدث للنبي ﷺ لما قرب أجله أنزل الله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] فكان بعدها لا يقوم ولا يقعد إلا سبح بحمد ربه. «وأتي رجل من الصالحين في منامه وقيل له تجهز إلى الحج ولست براجع فخرج ومات في الطريق»، «ومرض رجل فطلب الأطباء فقيل له الجنة تزخرف لك فتعبد ثلاثة أيام ثم مات».

٦- من أكثر من ذكر الموت هانت عليه مصائب الدنيا ولم يحزن على ما فاته ولم يفرح بما جاءه منها فيتعلق قلبه بالله لا بالأسباب.

٧- من أكثر من ذكر الموت خاف أن يعصي الله فيموت على المعصية فلا يجد له عند الله يوم القيامة حجة وإذا وقع في المعصية بادر بالتوبة إلى الله تعالى.

● أفضل طريقة لذكر الموت أن يذكر العبد أحبابه وأصدقائه وأهله الذين كانوا يضحكون معه ويأكلون ويشربون وكيف كانوا يؤملون في الحياة مثله وقد ماتوا الآن وصاروا تراباً .. فيتفكر العبد في حالهم الآن أهم من أهل الجنة أم من أهل النار ... وكيف أنهم لو عادوا لاجتهدوا في الطاعة فليجتهد هو ولا يغتر بالدنيا وزخرفها وكذلك يفكر العبد في ألم الموت وشدته فيعلم أنه لا ينجيه ولا يكون معه أحد إلا الله فليعلق قلبه بالله لا بالمخلوقين فإن العبد لا يشغل أثناء موته إلا بما عاش عليه.

ب- **التفكر عند المقابر:** وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «**كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة**» [رواه مسلم] ويا حبذا لو زارها المرء أسبوعياً فقد أوصاني بهذا بعض العارفين.

حال المؤمن عند زيارة القبور:

١- يستحضر أن القبور قد ملئت ظلمة على أهلها وكيف أنهم صاروا لا أنيس لهم إلا أعمالهم.

٢- يتفكر في اغترار الناس بالدنيا وعدم اتعاظهم فكم من مؤمل للعيش وقد كتب من أهل المقابر عن قريب وكيف أن الإنسان يعمل في الدنيا ويكدح مفاخرة للناس ثم يموت وينساه الناس.

٣- يتفكر في كونه لا يدري هل يموت على الإسلام فيدفن في مقابر الإسلام أم على غير ذلك والعياذ بالله والخواتيم مغيبة ولذلك كان النبي يقول إذا دخل المقابر: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» رواه أبو داود وصححه الألباني فانظر إليه كيف قال إن شاء الله.

٤- يدعو لأهل المقابر بالرحمة وأن يتغمده الله برحمته إذا لحق بهم فما أحوجهم والله إلى دعوة صالحة وقد انقطع عملهم .

٥- يختار للزيارة وقتاً للاتعاظ كبعد العصر قبيل المغرب أو بالليل ليكون أنجع في الموعظة.

إخواني .. من لم يتعظ بالموت والمقابر ... فقد مات وماله من جابر .. يا من بدنياه انشغل .. وغره طول الأمل .. الموت يأتي بغتة .. والقبر صندوق العمل .. ما رأيت يقيناً أشبه بشك من يقين نحن فيه.. أيقنتم بالموت وما استعددتم له .. دخل علي المقابر فنظر إلى أصحابه وقال لو نطق أهل المقابر لقالوا جميعاً «تزودوا فإن خير الزاد التقوى».

إخواني .. غاية أمنية أهل المقابر أن يعودوا إلى الدنيا فيصلوا ركعتين أو يستغفروا مرة واحدة وأنتم تضيعون الليل والنهار .. أول منازل الآخرة القبر فإن كان سهلاً كان ما بعده أيسر وإلا كان ما بعده أصعب ... كم أمل أهل القبور أن يعيشوا مثل تأميلكم ..

وسوفوا بالتوبة مثل تسويفكم ... واغتروا بشبابهم مثل اغتراركم .. كانوا يضحكون كما تضحكون ويأكلون ويلعبون ... ولا يصومون ولا يقومون .. فكأني بهم والله نادمون .. إخواني .. كم من طاعة تركتموها خوفاً من لوم اللائمين ... وإذا متم كانوا لكم أول ناسين ... ولا يبقى لكم إلا رب العالمين ...

أخي في التراب وضعوك ... وذهبوا وتركوك .. ولو بقوا معك ما نفعوك .. ولم يبق لك إلا الله وهو الحي الذي لا يموت ... زار الحسن مريضا في سكرات الموت فعاد إلى بيته فقدموا له الإفطار وكان صائماً فقال لقد رأيت منظراً لا أزال أعمل له وترك الطعام ... الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها .. أيكم يبني على موج البحر داراً ... تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا.. إذا أصبحتم فلا تنتظروا المساء .. وإذا أمسيتم فلا تنتظروا الصباح .. ولا تؤملوا في البقاء .. لا دار للمرأ بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها .. فإن بناها بخير طاب مسكنه .. وإن بناها بشر خاب بانيها .. يا ابن آدم كن في الدنيا كأنك غريب .. فإن الموت قريب .. يا نفس توبي فإن الموت قد حانا .. واعصي الهوى فإن الهوى ما زال فتانا .. يا أهل القبور .. قسمت أموالكم .. وتزوجت نساؤكم .. ويتم أطفالكم .. من ذا الذي بالدنيا غركم .. جمعتم الأموال للأولاد .. وبنيتم الدور للأحفاد .. وتناسيتم يوم المعاد .. فقدمتم على الله بلا زاد ..

إخواني .. لا تغرنكم الحياة الدنيا كما غرت الأولين.. فوالله ما أنتم بمخلدين .. فمالي أراكم متكاسلين.

جـ - التفكر في حال النفس مع الله: والمقصود من ذلك أن يفكر الإنسان في حال نفسه وكيف أنه ما عرف حق النعم .. فكم عصى .. وكم غفل عن الطاعة .. وكم ترك المستحبات .. وكم فعل المكروهات ..

إخواني .. ما فات من الطاعة لا يعوض إلى يوم القيامة فلو اجتهد من قصر فيما مضى لما عوض ما فات إذ كان بإمكانه الاجتهاد فيما مضى وفيما هو فيه الآن معاً فمن تدبر هذا المعنى لم ينقطع حزنه ... فوا أسفاه على ليالي القدر التي فاتت .. وواحسرتاه على الأيام القائظات .. فنفوس قليلة هي التي صامت ... وواأسفى على الليالي الباردات .. فقلة فيها هي التي قامت .. كم فاتنا من الأذكار .. وكم اقترفنا من الأوزار ... إخواني ..كم أسأتم الظنون بالآخرين .. وكم كنتم بأعمالكم معجبين .. بل قليلا ما كنتم مخلصين ... نقش داود ذنبه على كفه لئلا ينساه .. ولسنا لها بذاكرين ...

من منا يزور القبور ويذكر المساكين ..حب المال طغى على النفوس وأشبهنا الجاهلين ... فسدت الأخلاق وانتشر النفاق ... فما لنا آمنون .. وضاع الخشوع والتوكل ... فأين الصالحون!! يسر الله لنا حفظ كتابه ... فأين الحافظون!! ويسر لنا العلم ...فأين الدارسون!! إخواني ... نفوسكم كسولة فاقهروها على الطاعات .. طوبى لعبد كانت نفسه لوامة فصارت من المطمئنين .. وأف لعبد صار من الغافلين .. كم من عارف قاد نفسه إلى الله وهي باكية .. فلم يزل بها حتى صارت من الضاحكين ... والله لو أدركتم أعمالكم على حقيقتها ... لبكيتم من قلتها ... فآه من أحزان لا أجد سلوتها ... إخواني ... من قال أنا خير الناس فهو شرهم .. ومن قال أنا شر الناس فهو خيرهم .. من قال أنا عالم فهو جاهل .. ومن قال أنا جاهل فهو زينهم .. من قال أخلصت فقد راءى .. ومن قال راءيت فهو نورهم[1] .. لا يتقبل الله إلا من المتقين ... فليت شعري من تقبل منهم أعمالهم ...

(١) المقصود أن يداوم الإنسان على مراقبة الإخلاص في نفسه لا أن يتهم الإنسان نفسه بالنفاق حتى لا يصل إلى درجة الوسواس.

هـ - **التفكر في الأسماء والصفات**: وهو من أكبر زيادة الإيمان في قلب العبد ويتحقق هذا التفكر بعدة أمور:

١- التدبر في معاني الأسماء والصفات وربط معانيها بأحداث الحياة فيتفكر المؤمن في اسم الله الغني وكيف أن الله يملك ما في السموات وما في الأرض وكيف أنه غني عن طاعة عباده ولذلك خذل من خذل وقدر المعاصي على من قدر ويتفكر في اسمه الكريم وكيف رزق عباده ملايين الملايين منذ خلق السموات والأرض فأي كرم هذا!! ويتفكر في اسمه الرحمن وغيره من الأسماء بهذه الطريقة وقد زدت هذا توضيحاً في كتاب التفكر والاعتبار. والحمد لله.

٢- يتدبر المؤمن آيات القرآن وخواتيمها التي ذكرت فيها أسماء الله وصفاته ويتفكر في علاقة معاني الأسماء والصفات بمعنى الآيات ففي هذا من الإيمانيات ما لا يوجد في غيره ومن أدمن هذا العمل صار من العارفين بإذن الله فمثلا قوله عز وجل في سورة البروج: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ فقوله «العزيز» أي لا يغلب وليس تمكينه للظالمين من الدعاة لضعف قوة الله بل هو العزيز الذي لا يغلب وإنما فعل سبحانه هذا لحكمة يحمد عليها ولذلك قال: «الحميد» وهذه الحكمة هي تمحيص المؤمنين وزيادة الإيمان في قلوبهم ورفعة درجاتهم وغيرها من الحكم.

- وهكذا يتدبر المؤمن آيات القرآن ويتفكر فيها ليعلم معنى الآية نفسها ووجه تعلق الأسماء والصفات بها وقد زدت هذا توضيحاً أيضاً في كتاب «**التفكر والاعتبار**» والله المستعان.

و - **التفكر في حال المسلمين**: وهو من أكبر زيادة الإيمان في القلب لما يسببه في قلب المؤمن من الرحمة والرقة والحزن وربما دعا التفكر في هذا الباب المؤمن إلى الدعاء للمسلمين والمسلمات والتضرع إلى الله برفع الظلم والبلاء عنهم فيتأتى للقلب من الفتوحات ما الله به عليم.

وليعلم المسلم أن المسلمين جسد واحد يتألمون لألم بعضهم ويفرحون لفرحهم ومن لم يهتم بأمرهم فليس منهم.

إخواني ... الظلم عم البلاد ... وفي الشهوات غاص العباد ... فكم من أسير للشهوات ... وكم من عاص في الظلمات ... قوموا فأنذروا ... وخوفوا وبشروا ... ورغبوا ويسروا ... فعليكم والله ألقيت المهمات ... فما لنفوسكم متكاسلات!! حرمات الإسلام منتهكات ... وشرائع الله غير مطبقات ... وجماعات الخير محبوسات ... والمنكرات شائعات .. والنساء متبرجات .. إخواني ... قد آن الأوان أن تقوموا بتبليغ الإيمان ... بئس العبد من تكاسل وهو حامل للقرآن ... لا تكثروا النوم فلا مكان لنومان .. وانشروا الخير في الأرض .. وأنقذوا الغرقان .. لا راحة لقائد .. فليس الواجد كالفاقد .. إذا فرط الدعاة فماذا يفعل المذنبون .. وإذا تكاسل العلماء .. ضاع الجاهلون .. إخواني .. اصطفاكم الله لمهمة الأنبياء .. فمن تكفل بالمهمة .. كان في الآخرة من الأغنياء .. ومن فرط كان من الأغبياء ... إخواني .. أراضيكم مغصوبات .. وجل أعمالكم سئيات .. ثم ترجون الصلاح.. هيهات هيهات .. حملكم الصحابة أمانة الدين .. فخنتم الأمانات .. وأمرتم بنصح الناس .. فخشيتم اللائمات .. وألهتكم الدنيا .. فكثرت المنكرات.. وكثرت أعدادكم .. فقلت الاهتمامات .. لا فرح لكم .. حتى تخرجوا الناس من الظلمات .. ولا راحة لكم .. حتى تؤدوا ما حملكم الرسول من أمانات .. بلغوا حديثا أو بعض آيات[1] .. ابذلوا الجهد .. ولا تتعجلوا الثمرات .. ولا تستريحوا حتى تدخلوا الجنات .. رسولكم ينتظركم على جسر جهنم في الظلمات ... وحياتكم بالدعوة سعادة فوق اللذات.

د — **التفكر في الخواتيم:** فإن الخواتيم مغيبة ولا يدري أحدنا بما يختم له فالله المستعان وفي الحديث: «**قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**» [صحيح سنن بن ماجة].

(١) أعني حديث: «بلغوا عني ولو آية».

وكان النبي يكثر من قوله: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» [صحيح الجامع الصغير] ولو تفكر مؤمن في هذا المعنى حق التفكر لما سعد ولما استراح حتى يدخل الجنة ومن أجله قال ابن الحوزي: «لولا الغفلة لذهب عقلي من الخوف» ومن أجله كان سفيان يبول الدم.

فائدة معرفة هذا المعنى:

١- ألا يفرح العبد بطاعة ولا يعجب بها إذ ليس الفلاح أن تفعل الطاعة ولكن الفلاح أن تموت على حسن خاتمة.

٢- أن يزداد خوف العبد من الله فيزداد إيمانه ويرق قلبه وتبكي عينه فينال الخير في الدنيا والآخرة فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

٣- أن يحذر العبد من المعاصي فهي أكبر أسباب سوء الخاتمة وقد قالوا: «المعاصي بريد الكفر».

أسباب سوء الخاتمة:

١- أن يفعل العبد الطاعة رياء أو يترك المعصية خوفا من الناس فمن أطاع الله وترك معصية الله فليكن ذلك لله.

٢- أن يصر العبد على معصية من المعاصي ولو كان يفعل من الخير ما يفعل فمن فعل معصية فليتب إلى الله ولا يصر عليها.

٣- لخبيئة في نفس العبد لا يعلمها إلا الله وهذا هو أخطر أسباب سوء الخاتمة وأخوفها فلا يعلم ما في نفوسنا إلا الله ولا يظلم ربك أحداً.

إخواني .. أخبرتم أنكم على الصراط واردون .. فمن أخبركم أنكم صادرون.. فاضحكوا قليلا وابكوا كثيرا .. كم من رجل بدأ حياته بالطاعات .. ثم ختم له بسوء الخاتمات .. كلكم تحت هذا الخطر .. فأين العيون الباكيات .. ذنوبكم تؤهلكم لهذا .. فأين القلوب الخائفات .. لا يعذب الله قلباً وعى كتابه .. فأين الذاكرات الحافظات ..

ألم تعلموا .. لا يحترق إهاب فيه القرآن .. فأين العقول الواعيات[١] لا يعذب الله حبيبه .. وما أحبه لنفوس إليه داعيات[٢] من علم الخير وجبت له النجاة... ألم يخبرنا أنه يصلي على النفوس المعلمات[٣] إخواني .. عليكم بكثرة ذكر الله .. فقد ثبت كونه أعظم المنجيات[٤] .. ولا تيأسوا فيوم القيامة جل الرحمات .. ولا تعجبوا بعمل ... فشروط قبوله قاسيات ... ألم يقل لكم قليل الشكور[٥] وقليل من يعمل الصالحات[٦] إخواني .. أيما نفس خافت في الدنيا .. فهي غدا من الآمنات .. والعكس بالعكس .. أخبار صحيحات[٧] اعرضوا أنفسكم على كتاب الله .. فالفاجر في النار .. والطائع في الجنات .. الخواتيم مغيبة .. ولا يقبل العمل إلا من نفوس متقيات .. ما أعظم الخطر .. لو وجدت نفوس عاقلات .. وما أسهل اليأس .. لولا ما وعدنا من الرحمات..

هـ - **التفكر في أقدار الله:** والمقصود من ذلك أن يفكر الإنسان فيما مر به من أحداث وأقدار فيرى الله قد اختار له الخير فيما يظنه العبد شراً ويرى أنه قد يسر له حيث ظن العبد الأمر صعباً.

---

(١) أعني حديث: «**لو كان القرآن في إهاب ثم أدخل النار لما احترق**» فقد فهم منه العلماء أن الصدر الحافظ لكتاب الله لا يحترق في نار جهنم ولا يدخلها.

(٢) أعني قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فنرجوا للداعية أن تحسن خاتمته.

(٣) أعني حديث: «**إن الله وملائكته حتى الحتيان في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير**».

(٤) أعني حديث: «**ما عمل آدمي قط عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله**».

(٥) أعني قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾.

(٦) أعني قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾.

(٧) أعني حديث يقول الله عز وجل: «**لا أجمع على عبدي أمنين ولا خوفين فمن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة ومن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة**».

فوائد هذا العمل :

١- هو أكبر أسباب الإيمان بأسماء الله وصفاته كيف أنه حكيم رحمن رحيم لطيف خبير فتزداد معرفته بالله.

٢- أنه يزيد يقين العبد في الله وثقته فيه الله فيزداد توكلاً عليه إذ لا يقدر الخير إلا الله.

٣- أنه سبب رضا العبد عن أقدار الله حتى فيما يظهر مكروها فقد تعود من أفعال الله به أنه يقدر له الخير فيما يظهر شراً.

٤- أنه يزيد حب العبد لله إذ المحبة تنمو على سواحل المنة حيث يرى أن الله ييسر له الخير ويقدر له الخير.

إخواني .. ما يفعل الله بعذابكم .. وهو الذي خلقكم ورزقكم .. فمن الذي اختاركم للإسلام .. أم من ذا الذي جعلكم من أمة خير الأنام .. تفكروا .. لو كنتم لمنهج أهل البدعة منتحلين ..

فاشكروا أن جعلكم لمنهج السنة منتسبين ..

إخواني .. من ذا الذي جعلكم في ليل رمضان تقومون .. بينما الفجرة يغنون ويفسقون .. ومن ذا الذي جعلكم في نهاره صائمين .. وجعل العصاة على التلفاز عاكفين .. من ذا الذي ألهمكم فائدة علم التوحيد .. بينما دعاة آخرون يقعون في التنديد .. من ذا الذي ما نقلكم من مكان أو زمان .. إلا كان له عليكم أعظم إحسان ..

إخواني .. لو تتأملوا أقدار ربكم .. تدركوا أنه الرحمن .. فاشكروا نعمه وفضله تأمنوا النقصان ..

إخواني .. الأمور بيد الجبار .. فلا تتسخطوا الأقدار .. وأبشروا فربكم غفار.. لا تلوموا من أساء إليكم .. فبذنوبكم سلط عليكم .. كونوا من الله على يقين ..

ولا ضرر عليكم بغير مين[١] .. القادر معكم ومع دعوتكم .. فلا تخشوا الظالمين .. من وثق في المؤمن[٢] فلا يخف على الدين ... ومن عرف الرب أيقن بقرب التمكين[٣].

إخواني .. لما رأى ربكم اعتمادكم على الأسباب مكن منكم أعدائكم ليرى من تاب .. فإذا تكامل ضعفكم .. كمل توكلكم على ربكم .. وحينئذ يأتيكم نصركم .. الدين دينه فهو المؤمن .. والملك ملكه فهو المهيمن .. إخواني .. اختلط الحابل بالنابل .. والمؤمن بالمنافق .. والداعية بالكسلان .. فإذا تميز الصف .. فانتظروا نصر الرحمن .. لا تفقدوا الثقة في ربكم .. فهو والله المنان.

و - **التفكر في المخلوقات:** وهذا من أكبر أسباب الإيمان في قلب العبد، فالعبد كلما تفكر في عجائب مخلوقات البر والبحر من نبات وحيوان كلما ازداد تعظيمه لله ولابد وأنصح الإخوة بسماع وقراءة الكتب والأشرطة والـ **C . D** التي تتكلم عن الإعجازات العلمية في القرآن وعن عجائب قدرة الله في الكون.

كيفية التفكر في مخلوقات الله:

١- يتأمل العبد عظمة الله كيف خلق فسوى وكيف قدر فهدى فكل شيء بتدبير الله وحكمته فسبحان الحكيم.

٢- يعرف أن هذه الأشياء يستحيل أن تأتي من قبيل الصدفة خلافاً لمن أنكر وجود الله.

٣- يوقن أن الله الذي خلق الكون بهذه الدقة والنظام لا يفوته شيء فأعماله محصاة عليه واحداً واحداً ولا يظلم ربك أحداً.

---

(١) مين: أي شك.

(٢) المؤمن: هو الله الذي ينصر المؤمنين ويحفظهم من كل خوف وسوء.

(٣) وذلك لشدة الظلم والبلاء والضعف الواقع على المسلمين وقد قالوا إذا اشتد الكرب هان وأشد ساعات الليل ظلمة هي الساعة التي يليها الفجر.

٤- يستحضر علم الله الواسع بكل هذه المخلوقات وبكل ما يتعلق بها فليس ذرة في الكون كله علويه وسفله في البر أو في البحر إلا ويعلمها الله.

٥- يستحضر أنه في ملك الله كلا شيء فهو نقطة في بحر فلا يتكبرن ولا يتعالين على عباده.

٧- الاهتمام بأعمال القلوب: وهي:

أ - الزهد.	ب - الصبر.	جـ - الرضا.
د - الشكر.	هـ - اليقين.	و - الصدق.
ي - التوكل.	ن - الخشوع.	ل - المحبة.
ك - التوبة.	ر - الخوف.	ز - الرجاء.

ع - الإخلاص.

• وكيف لا يكون الاهتمام بأعمال القلوب أساسا من أساسيات الطريق وهي التي تميز بين أبناء الطريق فأخوفهم وأحبهم لله أفضلهم عند الله وأشدهم توكلاً وزهداً خيرهم عنده.

أهمية أعمال القلوب

١- ثواب تحقيقها عظيم جداً فقليلها يفوق كثير عمل الظاهر وانظر إلى قاتل التسعة والتسعين نفساً كيف دخل الجنة بأعمال القلوب (التوبة) مع كون كثير من الناس يعملون أعمالاً ظاهرية ويدخلون النار لحديث: «**فيناشد المؤمنون ربهم في قوم كانوا يصلون ويصومون ويحجون ليخرجهم من النار**» [رواه مسلم].

٢- إثم تركها خطير جداً فمن ترك الحد الأدنى من أعمال القلوب الواجبة خرج من الملة كمن اعتقد أن الله ظلمه بتقدير البلاء عليه وكذلك من انعدم من قلبه الخوف من الله فكلاهما كافر.

٣- أن الناس لا يتفاضلون إلا بأعمال القلوب لا بالعلم ولا بالعمل، يقول أبو الدرداء: «لئن حلفتم لي أن فلاناً أزهدكم لأحلفن لكم أنه خيركم» وقال النبي: «**أفضل التابعين رجل يقال له أويس القرني**» [رواه مسلم] وسعيد بن المسيب أعلم منه بكثير.

٤- أن العبد لا يذوق حلاوة الإيمان ولا يتدبر القرآن إلا بتنمية هذه الأعمال وزيادتها قال بعض العباد: «حرام على القلوب أن تذوق حلاوة القرآن حتى تزهد في الدنيا».

أسباب زيادة أعمال القلوب:

١- التفكر بأنواعه السابقة التي ذكرناها.

٢- تدبر آيات القرآن وإمرارها على القلب وتكرارها وفهم معانيها.

٣- زيادة الأعمال الظاهرة كإطلاق اللحية أو تقصير الثياب وغيرها فالتزام الأعمال الظاهرة سبب لصلاح الباطن.

٤- محاسبة النفس على الدوام ومراجعة هذه الأعمال فيها.

٥- تعلم العلم الشرعي والاهتمام به فهو من أكبر أسباب تنمية أعمال القلوب.

٦- كثرة الدعاء بتزكية النفس وصلاح القلب فالله هو الموفق.

٧- مراجعة العبد لخواطره ليعرف آفات النفس وعيوبها على ما سنذكر إن شاء الله.

أعمال القلوب

أ - **الزهد**: وهو أهم أعمال القلوب وأكثرها فائدة لصلاح النفس وبسببه تأتي الأعمال الأخرى بإذن الله وفي الحديث: «**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما أيدي الناس يحبك الناس**» [صحيح الترغيب والترهيب].

- وحقيقته قصر الأمل وترك كل ما يشغل عن الله أو كل ما يلهي عن العبادة.
- والزهد منه الواجب وهو الزهد في الحرام ومنه المستحب وهو ترك الفضول من الحلال وأعلى منه ترك كل ما يشغل عن الله .
- وأحسن ما قيل فيه أن يكون العبد بما في يد الله أوثق منه بما في يده وأن يكون عند نزول المصيبة أرغب منه في ثوابها لو لم تصبه.

ما يعين العبد على الزهد:

١- الأنفة من مشاركة الفساق وأهل الخسة فالدنيا كالحش لا يدور حولها إلا أصحاب الدنايا.

٢- العلم بأن ما يناله من نصيبه في الدنيا إنما هو من نصيبه في الآخرة.

٣- أن يعلم أن الرغبة في الدنيا تضيع الوقت وتنقص الثواب.

٤- أن يكون قنوعا بما آتاه الله ولا يحرص على ما يسئل عنه يوم القيامة.

٥- العلم بخسة الدنيا عند الله وأنها لخستها ما نظر إليها منذ خلقها.

أقسام الناس في الزهد:

١- من رزقه الله القناعة وبغض الدنيا طبعاً فهو يستنكف من كثرة الطعام والسعي وراء الدنيا لدناءتها كما قيل لبعض الزهاد: «ما الذي زهدك في الدنيا؟ فقال قلة وفائها وخسة شركائها» فهذا على خير إذ رزقه الله بغض ما يبغضه الله ولهذا الشخص عدة تنبيهات:

أ- لا تغتر بزهدك فهو عن طبع لا عن تكلف فخير منك من كانت نفسه تتوق إلى الشهوات فأدبها وهذبها فهو خير منك لو تساويتما في بقية أعمال القلوب.

ب- ما أنت فيه نعمة فاشكر الله عليها كي يزيدك منها واستعن بالله على دوامها.

جـ - ادع الله أن يعيين إخوانك المسلمين ذوي النفوس المتعلقة بالدنيا ـ ادعه ـ أن يعينهم كما أعانك.

٢- من طبع على محبة الدنيا والتعلق بها لكنه إذا بين لنفسه حقيقتها زهدت وصارت كالأول فهذا على خير أيضاً وهو أفضل من الأول لو تساويا في أعمال القلوب الأخرى.

٣- من طبع على محبة الدنيا وإذا نصح نفسه بالزهد أبت نفسه عليه ولكنه بعد مجاهدة يصل إلى تأديبها فهذا خير من السابقين لو نجح في تأديب نفسه طالما كان مثلهم في أعمال القلوب الأخرى.

٤- من هو مثل السابق ولكنه لا يستطيع إقناع نفسه بالزهد وكلما جاهدها عادت وهذا من أصعب النفوس علاجاً فنقول أولاً: لهذه المعارضة الشديدة من النفس أسباب نذكرها ثم نذكر بعدها بإذن الله كيفية العلاج.

أولاً: أسباب هذا المرض - أعني التعلق بالدنيا

١- شعور نفس العبد بأنها ستحرم وستتعب لو تركت شهواتها فتأبى وتستعصي.

٢- وجود أغراض وحظوظ من زهدها وهي الحصول على السعادة والراحة لا أنها تطلب من وراء ذلك إرضاء الله.

٣- نشأة النفس وتربيتها منذ صغرها على محبة الدنيا والتعلق بها فيشق على النفس ترك مألوفها.

٤- اهتمام النفس بكلام الناس ونظرهم إليها وتعليق القلب بهم.

٥- الفراغ الديني لدى العبد فلا يكاد يشغل نفسه بأمور الدين المهمة والنافعة.

٦- عدم معرفة العبد باستحالة الوصول إلى المعرفة مع تعلق القلب بالدنيا وبأنه يصعب الجمع بين الدنيا والآخرة.

٧- الأسباب الأخرى التي ذكرتها ابتداء عند الكلام على ما يعوق النفس عن بداية الطريق من قلة الهمة وغيرها.

٨- عدم معرفة العبد بأن ما هو فيه نعمة لو استغلها وفهم حكمة الرب سبحانه.

٩- عدم معرفة العبد بحقيقة الزهد الذي هو مطالب به.

ثانياً: كيفية العلاج:

- والعلاج يكون بمداواة أسباب التعلق بالدنيا فأما عن الأسباب الأولى للتعلق بالدنيا فقد رددنا عليها بالتفصيل عند الكلام على عوائق سلوك طريقة المعرفة.

- وأما عن السبب الرابع وهو اهتمام النفس بكلام الناس فهذا داء قد انتشر وذاع بين الناس إلا من رحم الله وأقول لهؤلاء من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس هكذا قال الرسول: ولكن لقلة اليقين في قلوب الناس صاروا لا يعملون بهذه الأحاديث ثم أقول لهم رضا الناس غاية لا تدرك فلو أرضى الإنسان واحداً أسخط آخرين والعكس بالعكس ولكن إرضاء الله يدرك بإذن الله ثم لماذا يهتم الإنسان بكلام الناس؟ وسيموت وحده ويدخل قبره وحده وسيسئل وحده؟؟ وكأني والله بهؤلاء الذين تركوا الواجبات من أجل الناس وكلامهم ـ كأني بالناس يعاملونهم على خلاف ما أملوا وكأنى بالناس يسخرون بهم ولا يعبأون بهم على خلاف ما أملوا .. فالقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء .. وماذا سيكسب الإنسان لو أرضى الناس وخسر الآخرة؟ أم ماذا سيخسر لو أسخط الناس وكسب الآخرة؟!

- وهذا الاهتمام الزائد بكلام الناس إنما هو لقلة اقتناع العبد بعظم وأهمية ما يطلب فلو أدرك العبد أن التزامه باللحية أو بتقصير الثياب أو اهتمامه بالدين والدعوة إلى الله ـ لو أدرك العبد أن هذا ما ينبغي أن يكون الناس جميعاً عليه

لدعاهم إلى هذه المبادئ والطاعات السامية فضلاً عن أن يشعر بالخزي والعار وهو ملتزم بها وكذلك هذا الذي ترك الربا وترك استماع الأغاني والأفلام لو علم وأيقن أن ما هو فيه هو الذي ينبغي أن يلتزم الناس به لدعاهم إليه فضلاً عن أن يشعر بالنقص أو بالشوق إلى مثل هذه الدنايا والله المستعان.

● وكذلك هذا الذي صار لا يهتم بالتأنق الزائد في الملبس والمطعم والمسكن وجعل الهم هماً واحداً وهو العبودية لله ـ لو علم هذا العبد أنه ينبغي أن يكون الناس جميعاً هكذا لما وجد الحرج والضيق في الزهد أبداً .. فعلاج هذا المرض أعني الاهتمام بالناس .. علاجه بانتظام العبد مع الإخوة الدعاة يحضر مجالسهم ودروسهم ويدعوا إلى الله معهم ليتغير مفهومه القاصر ولتطمأن نفسه بوجود أناس على طريقته فيثبت ولا يتزعزع وفي الحديث: «**عليكم بالجماعة فإن الشيطان يأكل من الغنم القاصية**» وكذلك عليه بقراءة سير السلف الصالح وكيف كان اهتمامهم بالآخرة ليعلم أن حالهم هو الحال الذي ينبغي للناس جميعها التزامه.

● أما عن الفراغ الديني فهذا أيضاً سبب لتعلق الناس بالدنيا وهذا والله حال كثير من الناس فهو يذهب إلى العمل ثم يعود فيأكل ويشرب وينام فإذا استيقظ إن كان من أهل الدنيا قضى الوقت في سماع التلفاز والأغاني حتى ينام ثم يستيقظ إلى عمله وهكذا حياته فإن كان من أهل الدين عاد من عمله فأكل وشرب ثم ينام ثم يستيقظ إلى صلاة المغرب فلا يجد لنفسه عملا فإذا به يأكل ثانية أو يقضي وقته في الكلام المباح التافه وربما جره إلى الحرام حتى ينام فسيتيقظ للفجر ثم ينام بعد الفجر حتى وقت العمل وهكذا يومه فهو لا يعرف إلا عمله وأكله .. نعم يحافظ على الوجبات ولكنه يؤديها خاوية من المعاني الإيمانية فصلاته بلا خشوع وذكره وقرآته للقرآن بلا تدبر .. لا يقوم الليل ولا يصوم النهار .. وهذا والله حال كثير من الإخوة فضلا عن بقية الناس والله المستعان .. فعلاج هذا الفراغ بشغل الوقت بطلب العلم وحضور الدروس الدينية وقراءة الكتب الدينية وكذلك في الإكثار من

النوافل فيجاهد العبد نفسه في قيام الليل وصيام النهار وتدبر الأذكار والخشوع في الصلاة ويبذل كل ما يمكن حتى يصلح نفسه.

● وأما عن جهل العبد بحقيقة أمر الدنيا والآخرة فنقول هذه مسألة مهمة ينبغي التنبه لها فبعض العلماء قال لا يستطيع العبد الجمع بين الدنيا والآخرة وبعضهم قال من التزم بطاعة الله نال الدنيا والآخرة وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فنقول لا تعارض بين أقوال العلماء فأما من قال لا يستطاع الجمع بين الدنيا والآخرة فإنه يقصد أن حصول العبد على الدنيا وشهواته لا ينال مع حسن حال الآخرة إذ ربما منع الرجل من وظائف كثيرة بسبب لحيته وربما منعت المرأة من تعليم البنات في المدارس لنقابها وربما عرضت للرجل أعمال ووظائف دخلها وعائدها يزيد على حاجته ولو عمل بها لترك حضور دروس العلم ولترك حفظ القرآن ومراجعته .. وربما دعت النفس العبد إلى كسب المال من الحلال والحرام لينال الدنيا بل حتى لو كان في المال شبهة لكان الحصول عليه من هذا الطريق ينافي حال طالب الآخرة.

● وأما من قال من العلماء من التزم بطاعة الله نال الدنيا والآخرة فهم يقصدون أن الله سيبارك له في رزقه فيكفيه القليل من الدنيا وسيبارك له في وقته فلو كان طالبا يذاكر ويبذل المجهود المطلوب منه لدخل أحسن الكليات مع أنه قضى أوقاتاً في صلاة الجماعة وحضور الدروس الدينية وقراءة الأوراد والأذكار ولم يقض أهل الدنيا هذه الأوقات إلا في المذاكرة ولكن الله بارك لهذا الطائع بل ربما تفوق على أقرانه وكذلك طالب المال الحلال الطائع يبارك الله له في عمله فيكسب في وقت قليل ما لا يكسبه غيره في وقت كثير.

● فنقول لمن ترك الزهد في الدنيا ظاناً أنه لو اهتم بفضول المباح يظن أنه سيصل إلى معرفة الله نقول له الدنيا والآخرة ضرتان فخذ إحداهما ودع الأخرى وأقول له

القلب المتعلق بالدنيا وشهواتها قريب من الشيطان بعيد عن الرحمن والعكس صحيح إذ القلب الذي يهتم بالدنيا يفرح لمجيئها ويحزن لفواتها فلا يكاد يتفرغ لمحبة الله والأنس به فقلبه يجول في المأكل والتأنق في الملبس والمسكن وركوب أفخم السيارات فكيف يصلح له مع هذا أن يتفكر في أحوال قلبه وخشوعه وإخلاصه وتوكله ويقينه؟ هذا مستحيل .. ثم هذا المحب للدنيا بطنه بالأكل ثقيل وجسده عن العبادة متكاسل فلا يكاد يعرف غير النوم والكسل فكيف يتفرغ للعلم والعبادة؟؟ فالمواعظ والعبادات لا تكاد تنجع إلا في النفس العالية غير المتعلقة بالدنيا.

● أما عن معرفة العبد بأن ما فيه نعمة فذلك لأن بعض النفوس لا تكاد تعمل وتسعى حتى تشعر بالثقة في نفسها وبأنها على خير وكم من نفوس أعرفها هكذا ولكن العبرة بفهم الإنسان لنفسه ومعرفته بطبيعة نفسه ..

فهذه النفس ربما تركت طريقة الزهد بسبب ما تجد في نفسها من حب للشهوات فإذا بها تيأس من الصلاح لما ترى من كثرة التنكب عن طريقة الزهد .. فأقول لهؤلاء لا يختار الله لعبده المؤمن إلا الخير وبإمكانكم أن تستغلوا ما أنتم فيه لتنالوا أعظم الثواب إذ لا يوجد إيثار لمن لا يجد في نفسه حباً للدنيا .. فهذا الذي رغب عن الدنيا طبعا سوف تجود نفسه بالدنيا وإعطائها للغير فلا يتصور فيه إيثار إذ الإيثار الحق أن يؤثر الإنسان غيره مع وجود حب عنده لما يؤثر به قال تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾.

● بل وأعظم من ذلك أنه ربما ابتلى الله العبد بهذا لينجح في تزكية نفسه ولو بعد حين فيكون حجة على من ابتلي مثله ولم ينجح في إصلاح نفسه بل وأعظم من ذلك أنه ربما كان هذا المبتلى الذي يحب الدنيا ـ ربما كان ذا عقل وفطنة وحسن تحليل للنفس وإرادتها فيكون الله قد اختاره ليكون إماماً للناس بعد فيقول لهم كان بي كذا وكذا من الإرادات ففعلت كذا وكذا حتى وصلت فيكون دليلاً عمليا لكل من كان في مثل حاله .. فسبحان من يبتلي العباد لنفعهم ونفع غيرهم والله المستعان ..

• أما عن عدم معرفة العبد بحقيقة الزهد الذي هو مطالب به فأقول لمن هذا حاله ليس الزهد أن تترك ما تحبه نفسك من مأكل وملبس ولكن الزهد أن تنال ما تحبه بقناعة واعتدال دون إسراف أو مبالغة وأن تكون حين تتناول ما تحب ناويا إعطاء نفسك ما تريد لتقوم بالطاعة كما تحب كما قالوا: «اعلف الدابة ثم احمل عليها» وكذلك تنوي الاستجابة لأمر الله: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ كما أوضحت في كتاب التفكر إذ الطيبات التي خلقها الله إنما خلقها لعباده المؤمنين ليتمتعوا بها ويشكروا ربهم عليها فهو كريم وشكور وأضرب لهذا مثلاً ولله المثل الأعلى ـ فأقول تخيلوا أن كريما من البشر أقام مائدة عظيمة وصنع فيها من كل ألوان الأطعمة والأشربة ثم دعا الناس إلى الأكل منها ليتمتعوا فيسعد هو بذلك إذ الكريم يسعد لإسعاد الناس ثم بعد هذا إذا ببعض الحاضرين يرفض الأكل منها فكيف يكون حاله عند هذا الكريم؟ فكذلكم خلق الله لكم طيبات الرزق لتتمتعوا بها وتشكروه عليها فهو كريم يحب أن ينعم على عباده ويحب أن يشكروه فلا تخالفوا مراد ربكم بزعمكم أنكم زاهدون فالزهد إذاً أن يأكل المرء من الطيبات دون إسراف ودون جشع وطمع أو بمعنى آخر يأكل من كل شيء ولا يشبع من أي شيء وهذا هو الزهد الصعب فليس صعباً على العبد أن يترك أكل الطيبات بالكلية فربما لم يعرف طعمها لكن الزهد الحقيقي أن تذوق النفس الطيب وتعرف حلاوته ثم لا تشبع منه فليس الواجد كالفاقد ثم حال العبد يتغير فربما افتقر بعد غناه فلم يجد ما يشتري به الطيب مع معرفته لحلاوة طعمه فيكون صبره هو الصبر الحق بعكس من لم يكن يأكل الطيبات أصلا فليس صبره بالصبر الحق.

• فإن قيل فلم إذاً لا أشبع من الطيبات؟ قلت لا بأس أن تشبع أحياناً للحاجة كمزيد جوع أو إرضاء لأخ لك في الله قد دعاك وتكلف لك ويفرح بأكلك من طعامه لكن لا تفعل هذا دون حاجة شرعية بل ولا تداوم على هذا إذ

المداومة على الشبع تقسي القلب وتسبب له الغفلة ونسيان الفقراء والمساكين وفي الحديث: «**وإياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين**» [صحيح الجامع].

كيف يعرف العبد الزهد في نفسه من عدمه؟

الزهد: عمل قلبي ليس بلبس الخشن وأكل الغليظ إنما هو ما قام في قلب العبد من عدم الرغبة في الدنيا ولذاتها .. ومعرفة الإنسان لذلك في قلبه إنما تكون بمتابعة ومراقبة الخواطر والإرادات التي تعرض للنفس ومن خلالها يحدد العبد حقيقة زهده من عدمه **والناس في هذا على أقسام:**

أ - من يترك التأنق في أمور الدنيا من مأكل وملبس ولكنه يجد في نفسه معارضةً وحزناً وتأسفاً فهذا متزهد وليس بزاهد فالزهد أن تسمح النفس بهذا دون معارضة وهذه بداية الطريق.

ب- من تسمح نفسه بهذا تعلقا بأن الله سيعوضه في الجنة عما تركه من الدنيا فهذا أفضل من الأول بشرط ألا يكون معجبا بعمله إذ المعجب حابط عمله.

جـ - من تسمح نفسه بهذا طواعية وهو يرى أنه لم يفعل شيئاً إذ من ترك التراب لأجل الذهب لا يقال عنه ترك شيئاً فكذلك الدنيا أحقر من التراب والآخرة أعظم من الذهب وهذا أعلى درجات الزهد.

د - من يترك الدنيا وطلبها حياءً من الناس خشية أن يلام وهذا متصور فيمن صاحب زهاداً ويخشى أن يكون ملوماً بينهم فليس هذا زاهداً أصلاً وكذلك من ترك الدنيا لعدم قدرته على الحصول عليها فليس هذا زاهداً إذ الزهد أن تجد ما تطلب به الدنيا ثم لا تطلبها إلا من نوى صادقاً أنه متى كانت عنده المقدرة لم يطلب الدنيا فهذا زاهد أيضاً.

● فمتى وجد العبد في نفسه خواطر وإرادات للدنيا كأن يشتاق إلى شهواتها ويحب زخرفها من ملبس أنيق ومأكل لذيذ يفرح بوجوده ويحزن لفواته وكلما رأى

ذا سيارة فارهة تمنى لنفسه مثلها وكلما مر بطعام شهي تمنى أن لو أكله وكأن تشتاق نفسه إلى المال وكثرته وتحب نفسه الجاه والسلطان وكأن يفكر كيف سيكون غنيا وكيف يحصل على المال .. ويتمنى أن لو مات من يرثهم ليحصل على المال .. متى وجد العبد ذلك في نفسه فليس هذا بزاهد بل هو من طالبي الدنيا فإن قيل في الحديث قال رجل يا رسول الله: «إن أحدنا يجب أن يكون نعله حسناً وثيابه حسنة» ولم ينكر عليه الرسول وفي آخر يقول الصحابي: «قدمت لرسول الله ذراعاً وكانت تعجبه» وفي ثالث: «**إن الله جميل يحب الجمال**»؟ قلت هذا هو الفارق بين الصوفية وبين أهل السنة في حقيقة الزهد فليس الزهد أن يترك العبد الملبس الحسن والمأكل الحسن وإنما الزهد الذي نعنيه أن ينال العبد ما ينال من الدنيا ببدنه أما قلبه فهو متعلق بالآخرة .. نعم يلبس الملبس الحسن ويأكل المأكل الحسن ولكن بلا إسراف ولا مخيلة وكذلك لا يداوم على هذا ففي الحديث: «**البذاذة من الإيمان**» وفي الحديث: «نهى رسول الله عن الترجل إلا غباً» وفي آخر: «**إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمنعمين**» فطريق الجمع بين هذه النصوص أن نقول لا غضاضة أن يجد الرجل في نفسه حب الملبس الحسن والفرح بالطعام الذي يحبه أو الفرح بالمال لكن بشرط ألا يحزن لفوات ذلك وفقده فإن قيل وكيف يعرف ذلك؟ قلت بما يراه من حال نفسه فإذا رأى نفسه إذا كثر المال أكثر من التصدق به ولم يكنزه وإذا قل لم يحزن إلا على ما فاته من الصدقة والعمرة والبر فهو الزاهد حقا وكذلك إذا وجد نفسه كلما قدم إليه طعام أكله طالما كان من عادته أن يأكله ولم يطلب أعظم ما يشتهي ولم يعب هذا الطعام فهو الزاهد حقاً فإن وجد في نفسه حزناً لفوات الطعام المشتهى ولوماً لمن قدم له هذا الطعام فليس هذا بزاهد وحبه للطعام مذموم وكذلك إذا وجد العبد نفسه إذا ترك لبس جميل أو ترك تسريح شعره لو وجد في نفسه الحزن لذلك بحيث لا تكاد تسمح نفسه بترك تسريح شعره وترك ملبسه فليس هذا بزاهد فإن وجد في نفسه السماحة وعدم

الغضاضة بترك ذلك فهذا زاهد .. فالزاهد هو الذي لا يبالي بما أكل وبما لبس .. نعم تفرح نفسه فرحا طبيعيا جبليا بالأكل الحسن والملبس الحسن ولكن لا يتعلق قلبه بهما ولا يحزن لفواتهما .. فهو إن آتاه الله المال فرح لأنه سيسدد حاجة الفقراء والمساكين وسيحج ويعتمر وإن ابتلاه الله بالكفاف فرح لقيامه بعبودية الصبر والرضا وفرح أيضاً لأنه اختبار حقيقي فعلي لقلبه هل تعلق بمحبة الدنيا والمال أم لا؟ فهو يكره الفقر لا لكونه عيبا بين الناس ولكن لما فيه من الحاجة فهو يريد الكفاف لنفسه حتى لا يحتاج إلى أحد .. بل هو عند غناه يترك الملبس الحسن والمأكل الحسن أحياناً لئلا تتعود نفسه عليهما وليختبر حال قلبه هل تعلق بهما أم لا ..فمن فعل ذلك فهو الزاهد حقا والله المستعان .. وقد سئل الإمام أحمد هل يكون الغني زاهداً؟ فقال إذا كان المال في يده وليس في قلبه كان زاهداً.

الصبر: وهو حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن التشكي وحبس الأعضاء عما ينافي الصبر من لطم الخدود وشوق للجيوب، وهو واجب بل الحد الأدنى منه ركن من أركان الإيمان بمعنى أنه من انعدم من قلبه الصبر فاتهم الله بظلمه له بتقدير البلاء عليه فقد كفر والعياذ بالله وإن صلى وصام ..

- والصبر المطلوب عند الصدمة الأولى ففي الحديث: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» إذ كل نفس تتسلى وتصبر مع مضي الزمن على المصيبة.

- وللصبر فضائل عظيمة وقد ورد في فضله أحاديث وآيات كثيرة: فقد قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ وفي الحديث: «**الصبر ضياء**» وفي ثالث: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له**

خير وليس ذلك لأحد غير المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».

- وعلى العبد أن يجاهد نفسه في البداية ليصل إلى مقام الصبر ففي الحديث: «**ومن يتصبر يصبره الله**» أي من تكلفه صار له عادة وهكذا كل أعمال القلوب فقد تكون حالاً ثابتاً وقد تكون مقاما يتغير والعبرة بأغلب الوقت.
- والصبر كغيره من عبادات القلوب يحتاج إلى عزيمة وإرادة فقد قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

علامات الصبر:

١- كتمان البلاء قدر المستطاع إلا ما لا يقدر عليه كالتأوه والتألم فلا دليل على كراهته بل فعله الرسول فقال لعائشة: «**بل أنا يا عائشة وا رأساه**» وإنما قاله تصبيراً لعائشة لما أخبرته بوجع رأسها.

٢- عدم الشكوى إلى المخلوق فلو أخبر الطبيب بمرض فإنه ينوي بذلك الأخذ بأسباب العلاج لا شكوى الرب إلى المخلوق.

٣- استحقار البلاء والشعور بأنه قليل فما يستحقه بسبب ذنوبه أكثر أو على الأقل هو قليل بالنسبة إلى غيره.

٤- عدم التسخط أو الجزع أو الاضطراب عند نزول البلاء.

- ولا ينافي الصبر الشكوى إلى الله ودعائه برفع البلاء فالصابر لا يجزع ولكنه يتمنى زوال البلاء بعكس الراضي كما سنوضح بعد إن شاء الله وقد قال يعقوب: «إنما أشكو بثي وحزني إلى الله» وقد وعد عليه السلام فقال: «فصبر جميل» أي سأصبر صبراً جميلاً لا شكوى معه.
- والصبر أقسام فصبر على الطاعة فيداوم عليها العبد وصبر عن المعاصي فيتركها العبد وصبر على البلاء فلا يجزع ولا يتسخط.

ويعين العبد على الصبر عدة أمور:

١- أن يعلم أن البلاء عند نزوله يقدر معه وقت زواله فجزع العبد لا يسرع بذهابه وصبره لا يؤخر رحيله فإن صبر العبد كان له الثواب عند الله وإن جزع كان عليه الوزر العظيم.

٢- أن يعلم العبد أن كل بلاء مهما طال فلابد من زواله ولو بزوال الحياة فلا يستبطئن زواله.

٣- أن يعلم الثواب العظيم الذي أعد الله له على صبره فليصبر ابتغاء ثواب الله.

٤- أن يعلم كذلك الإثم العظيم الذي يكون بترك الصبر.

٥- أن يوطن العبد نفسه على أنه لابد من نزول البلاء وذلك التوطين على قسمين:

أ- أن يكون للعبد مرض مزمن ينزل به تعود على نزوله فيوطن نفسه أنه قد يأتيه ليكفر عنه من سيئاته فإذا بالعبد يستعد له فإذا نزل به لم يجزع ولم يسخط.

ب- ألا يكون للعبد مرض مزمن فيوطن نفسه على أنه صاحب ذنوب كثيرة تحتاج إلى تكفير ويخبر نفسه بأن الدنيا دار بلاء ومحن والأصل فيها الابتلاء فهذا التوطين من أكبر أسباب الصبر إن شاء الله خاصة وأن الصبر المطلوب عند الصدمة الأولى وهذا يحتاج إلى استعداد سابق.

٦- أن يكثر العبد من مخالطة الفقراء والمرضى وتفقد حالهم ومعونتهم لينطبع في نفسه وجود أصحاب بلاء فإذا نزل البلاء به هان عليه الأمر لوجود من ابتلي مثله وأكثر منه وهذا السبب ضروري خاصة للذي يجزع ويسخط إذا نزل به البلاء.

٧- أن يقارن العبد حاله بحال السلف حيث كانوا يكتوون دون وجود بنج وكانت تأتيهم آلالام الأضراس والمغص وما كانت عندهم مثل المسكنات الموجودة الآن وكانوا يصبرون فنحن أولى بذلك خاصة مع منَ الله به علينا من

أدوية فإذا تحقق العبد هذا استحيى من نفسه وصبر بل لو صبر سيعلم أن صبره ليس كصبرهم فلا يعجب بصبره.

٨- أن يستحضر عند صبره أنه ينبغي أن يكون صابراً محتسباً ليكون إماما وقدوة لمن يجزع وهذا سبب عظيم النفع للداعية ولصاحب الهمة العالية فلو استحضرا هذا لربما هون عليهما البلاء كثيراً وما أجمل ما قاله الأعرابي لابن عباس يعزيه في أبيه لما مات:

اصبر نك بك صابرين □□□ فإنما صبر الرعية عند صبر الراس
خير من العباس صبرك بعده □□□ والله خير منك للعباس

بل رأيت بعض المبتلين من أصحاب الهمة العالية لما كثر عليه البلاء بأمراض عدة زاد صبره وقال بقي من أنواع الإبتلاءات والأمراض مرضان لو نزلا بي وصبرت لصرت إماماً لكل مبتلى في بلائه - وليس هذا تمنياً منه لنزول البلاء ولكنه تصبير للنفس عالية الهمة والله المستعان.

جـ - **الرضا**: وهو أعلى من الصبر وهو سنة مؤكدة فالصابر لا يجزع ولا يتسخط ولكنه قد يتمنى زوال البلاء أما الرضا فهو عدم تمني زوال البلاء وأما الشكر فهو أن يشكر على البلاء كما يشكر على الرخاء وكلا الرضا والشكر سنة مؤكدة وليسا بواجبين وأما أثر «من لم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوائى» فهو ضعيف ولا يصح.

ما يعين العبد على الرضا

١- أن يتفكر العبد في البلاء فيراه في غير دينه فيرضى وفي الحديث: «**ولا تجعل مصيبتنا في ديننا**» فالعبد إذا نزل به البلاء قال لنفسه هل ترضين أن يعافيك الله من البلاء وأنك على غير الإسلام أو حتى على غير الطاعة والإيمان؟؟ فإذا قالت لا قال لها فلم لا ترضين إذاً؟ وما أجمل ما حكي عن بعض الفقراء

الصالحين أنه كان قد حفظ كتاب الله ولكنه كان في فقر شديد فنام يوما وهو حزين لشدة فقره فقيل له في منامه أتود أن الله أنساك سورة هود ولك ألف دينار؟ فقال لا قيل فسورة يوسف؟ فقال لا ولم يزل يعدد عليه سور القرآن وهو يقول لا فقيل له معك ما يزيد على مائة ألف دينار فلم تحزن [يعني أن سور القرآن ١١٤ سورة] فأصبح من نومه وقد زال عنه الحزن.

● فنقول لمن رسب في الكلية لعدم قدرته على حفظ المعلومات أو لمن لا يزال يتقلب في الأمراض أو لهذا الذي لا يزال في الفقر متقلباً نقول لهم البلاء الحقيقي الذي لا يرتضيه العبد أن يبتلى في دينه وأن يكون على غير الطريق المستقيم فمن كان غير ملتزم بكتاب الله وسنة رسوله فليحزن على هذه المصيبة أكثر من حزنه على مصائب الدنيا فإن العبد الذي عنده صداع ينساه وينسى التألم به لو ابتلي بوجع الأضراس فتفكير العبد في المصيبة الكبرى ينسيه الصغرى .. أما من كان على الكتاب والسنة فنقول له لا تحزن وقل لنفسك هل ترضين بزوال البلاء وأنك معافاة منه وتكونين قد فقدت الالتزام؟.

● فإن قال قائل فما المانع من المعافاة في الدين والمعافاة من البلاء معاً؟ قلت هذا سؤال من لا يعرف طبيعة الحياة فهي دار ابتلاء يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ ولا يخلو أحد من بلاء ولكن البعض ابتلاه الله في دينه والبعض ابتلاه الله في بدنه أفليس من الواجب عليكم أن ترضوا بل تشكروا ربكم على أن جعل بلاءكم في البدن لا في الدين؟.

● فإن قال العبد لا أريد هذا البلاء بالذات وأنا راض بأي بلاء آخر؟ قلنا لا يخلو أمر هذا القائل من حالين:

أ - أن تكون نفسه جازعة عند كل بلاء وإنما قوله مجرد ظن ووهم فنقول له لو نزل بك بلاء آخر لقلت مثل هذا فصاحب وجع الأضراس يقول يا ليته كان مغصاً

والمبتلى بالفقر يقول يا ليته كان مرضاً وهكذا كل واحد يخدع نفسه بأنه كان سيرضى عند أي بلاء آخر .. ويعرف العبد من نفسه هذا لو وجدها كلما نزل بها تمنت أن لو كان قد نزل بلاء آخر فحينئذ نقول له وطن نفسك على البلاء ولا داعي للأماني الكاذبة والدعاوى الباطلة.

ب- أن يكون هذا البلاء حقاً مما يؤلم العبد أكثر من غيره كهذا الذي يهتم بكلام الناس فإذا به يبتلى بما يعده الناس عيباً كرسوب في دراسة وغيره وكهذا الذي فيه جبن وهلع فيبتلى بعملية جراحية لابد من إجرائها له وكهذا الذي يحب المال فيبتلى بالفقر وقس على هذا فنقول لهؤلاء لو تأملتم حكمة الرب وعظمته في هذه البلاء لشكرتم فضلاً عن أن ترضوا فقط .. إذ الرضا والصبر يظهر فيما لو ابتلي العبد بما يهتم به ويؤثر فيه فهذا الذي يهتم بكلام الناس ربما وجد في نفسه صبراً على الأمراض وعدم صبر على الابتلاءات الأخرى فقد جعل الله في كل عبد نقطة ضعف يأتيه من جهتها البلاء ليكون اختباراً لصبره وإيمانه فإذا تفكر العبد في هذا شكر الله إذ وضع له امتحاناً حقيقياً في الدنيا قبل الآخرة ليعلم هل هو صادق في ادعائه الرضا والصبر والتوكل وغيرها من مقامات الإيمان أم هو كاذب؟ وهذا والله أمر هام جداً فكم من عبد ادعى الصبر والرضا فلما ابتلي ظهر على حقيقته، والأعمال القلبية لا تظهر إلا عند البلاء وفي الحديث: «**كانوا يفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء**» ولعل هذا الفرح لهذا المعنى الذي ذكرته بل وأجمل من ذلك أن العبد لو استحضر هذه المسألة لزاد فرحه مع زيادة البلاء إذ كلما زاد البلاء كلما ازداد إيمانه وحصل على أعلى درجات الإيمان حيث يصعب على العبد في الغالب أن يصل إلى درجة الرضا والشكر عند أول بلاء فكأنه بالكاد يصبر عند أول بلاء ثم يصبر حقيقة في الثاني ثم يقترب من الرضا في البلاء الثالث ثم يرضى ثم يشكر وهكذا كلما زاد البلاء كلما ارتفعت درجة إيمان العبد.

● ومثل هذا العبد لو طال عليه البلاء لما تمنى زواله بل يود استمراره ليصل إلى درجة الشكر واليقين وحتى يتم نجاحه فربما وجد العبد في نفسه الصبر عند أول البلاء فلا يزال يزيد البلاء وتطول مدته والمؤمن يفرح بذلك لوجود فرصة أمامه لنيل مقام الرضا بل لو زال البلاء الأول والعبد راض فلن يجزع العاقل للبلاء الثاني بل سيفرح إذ النجاح أن يكون العبد دائما في مقام الرضا لا أن يرضى أحياناً ويجزع أحياناً ولا يتبين هذا إلا بكثرة البلاء وتعدده فمن تدبر هذا حق التدبر اطمأن قلبه وصار الرضا له مقاماً وليس فقط مجرد حال وحينئذ يكون لسان حاله «أصبحت ألتمس رضائي في مواقع القدر» بل يصير بعدها في مقام التوكل والتفويض إلى الله لعلمه أن ربه لا يفعل به إلا الأصلح لدينه ولا يختار له إلا الأقوم فإذا به لا يخاف من البلاء ولا تقلق نفسه ولا تضطرب فهو مفوض أمره إلى الله يختار الله له إذ هو سبحانه يختار له لا عليه فالله المستعان على فهم تلك المعاني الإيمانية العظيمة ...

● فإن قال المبتلى إنما أحزن على ما فاتني من طاعات كنت أقوم بها؟ قلت ما كنت تقوم به إنما هي طاعات بدنية وما أنت بصدده الآن إنما هي طاعات قلبية والفارق بينهما في الثواب كما بين السماء والأرض ثم هذه العبادات القلبية لا تظهر إلا بالبلاء والتمحيص، والعباد تتفاضل إيمانياً بما في قلوبها من خير لا بأعمال البدن ثم هذا المبتلى لم يفته شيء إذ العبد بالنية الصالحة يكتب له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً ويكتب له ما كان يعمله وهو غني لو افتقر طالما انتوى النية الصالحة.

● فإن قيل فما بال يعقوب قال الله عنه: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾ وقال النبي ﷺ لما مات ابنه إبراهيم: «**إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع ولا نقول إلا ما يرضي الرب**» فكيف حزنوا مع كونهم من أهل الرضا؟ قلت هذا إشكال أجاب عنه العلماء بأجوبة منها:

أ - كان حزنهم لفوات الطاعة فيعقوب تمنى أن لو كان يوسف نبياً ليكون عمله في ميزان حسناته فحزن لفقده إذ خاف أن يفوت هذا وكذلك رسول الله حزن لموت إبراهيم إذ كان يؤمل في نبوته من بعده ليقود الأمة وقد قيل: «لو عاش إبراهيم لكان نبياً» وقد نص العلماء على أنه: «من حزن لفوات الطاعة لم يكن فعله منافياً للرضا».

ب- الأنبياء والرسل قلوبهم كبيرة تتسع لوجود الحزن الفطري والرضا بقضاء الله معاً بعكس غيرهم فقد تضيق قلوبهم عن الجمع بينهما فيقدمون حق الله من الرضا على حق المخلوق من الحزن.

جـ - وهو أحسنها أن يقال عند نزول المصيبة من فقد حبيب أو موت صاحب ينازع النفس حقان: حق الله من الرضا بقضائه وحق المخلوق المبتلى من الحزن لأجله فحق المخلوق من مقتضى الجبلة ومن فعل خلاف ذلك كان من المقصرين في حق المخلوق فتخيل رجلاً يزعم محبة صديق له ثم إذا به يضحك ويفرح عند موت صديقه فهل يصدق عليه أنه صديقه حقاً؟! فهذا الحزن هو حق المخلوق بل قد يزيد الأمر عند أصحاب القلوب الرحيمة فتبكي أعينهم وقد قال الرسول لما مات ابنه إبراهيم: «**إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضى الرب**».

والثاني: حق الرب من الرضا بقضائه وتقديره وعدم تمني زواله أو تمني غيره إذ ما قدره الرب هو الخير وهو الأفضل فإن قيل وكيف لا تتمنى النفس زوال ما تتألم به وتكرهه؟ قلت كالمريض يأخذ الدواء الكريه الطعم وهو راض أو كرضى الصائم في الحر الشديد بما يجده من آلام أو كمن وضع له السم في العسل فهو يجد طعم السم ويجد حلاوة العسل معاً بلا تعارض بينهما بل قد تطغى حلاوة العسل فتنسيه مرارة السم.

تنبيه:

قال بعض السلف: «ليس بعارف من تمنى فوق منزلته» وقال آخر: «ليس من الرضا تمني غير المنزلة» وهذا الكلام بديع ومعناه أن المواهب والآفات موزعة في الغالب على الناس فكل واحد أعطاه الله من المواهب والآفات ما يليق به وما لو استغله لوصل إلى أحسن حال بإذن الله وهذه المواهب والآفات بعضها كسبي من البيئة والوسط المحيط وهذا لا دخل للعبد فيه وبعضها جبلي جبل وفطر عليه فسبحان من خلق فسوى ومن قدر فهدى.. فهذا منذ صغره يتربى في أسرة تعلمه ضرورة التفوق على الناس كلها وضرورة كونه أفضل الناس في أمور الدنيا فإذا به يبتلى بفقده لكثير من أمور الدنيا التي تربى على أن فقدها فقد كبير ... وهذا يتربى في بيئة تعوده على الخوف من كل شئ حتى من الصراصير فإذا به يجد مشقةً إذا التزم خشية أن يسجن ... وهذا ثالث يتربى على الجبن وعدم القدرة على مواجهة مشاكله بنفسه فإذا به يكاد قلبه أن يطير لو تعرض لعملية جراحية مثلاً أو لو واجه مشكلةً ما... وهذا رابع يتربى على العاطفة ومحبة الجمال فإذا به يجد صعوبةً في غض بصره بل ربما ابتلي بالعشق سواء للرجال أو للنساء... وهذا خامس يتربى على الأخلاق الفاضلة والهدوء والحلم فإذا به يواجه في منطقة سكنه سوقة من الناس لا يعرفون سوى الألفاظ البذيئة ... وقس على هذا فما أنا بمستطيع لحصر الطباع ولا عشر معشارها ولكن حسبي هاهنا أن أبنه على أن كل طبع سواء كان طيباً أم غير طيب بإمكان من ركب فيه هذا الطبع استغلاله أحسن استغلال لترتفع منزلته عند الله بل ربما ركب فيه هذا الطبع ليتخلص منه فيكون قدوةً لغيره وحكم الله عظيمة ...

- فهذا الذي ابتلي بالتربية على حب الدنيا لا يحزن ... فكم سيكون ثوابه عند الله لو ترك الدنيا مع كونه قد تربى على حبها بعكس من يأنف منها ويزهد

فيها جبلة بل هذا المحب للدنيا يستطيع استغلال حبه للدنيا لتكثر حسناته إذ سينال منها بمقتضى طبعه ما يحبه من مأكل ومشرب فيشكر الله على ما ينال شكراً صادراً من القلب بعكس من يأنف من الدنيا فإنه لو نال منها شيئاً فلن يكون شكره كشكر هذا فمثل الأول كمن شرب الماء البارد وهو عطشان فكيف يكون شكره بعد شربه؟ ومثل الثاني كمن شرب الماء وهو غير مشتاق إليه فكيف يكون شكره؟؟ ثم هذا الذي ابتلي بحب الدنيا يتصور منه الإيثار لوجود المحبة في قلبه لما يؤثر به بعكس من لا يحبه أصلاً... وهذا الذي ابتلي بالتربية على الخوف من كل شئ فلا يحزن ...فكم سيكون ثوابه عند الله لو تغلب على هذا وأطاع الله ولم يبال بأحد ... بل خوفه هذا سيجعل في قلبه رقةً يسهل معها الخوف من الله بعكس من تربى على الشجاعة والجفاء فقد يصعب عليه إيجاد مثل هذه العبادات في قلبه لكنه سيتميز بسهولة اتباعه للحق غير مبال بأحد فلكل واحد منهما ميزته وعيبه ... وهذا الذي تربى على الجبن فلا يحزن أيضاً ... إذ ثوابه عند نزول المصائب أكبر لكون أثرها عليه أشد ... بل ربما استغل هذا الجبن عند نصح الناس فإذا به يتلطف أشد التلطف في نصحهم حتى يقنعهم بنصيحته خوفاً من أن يتعرض له واحد بكلام سيئ بعكس شجاع القلب هذا فربما لشدته في الحق صار ينصح الناس بقسوة... وكم رأيت والله من كلا الصنفين وحدث مثل ما أقول فأما الشجاع فإذا به يغلظ في النصح حتى نفر الناس منه، وهذا الجبان تلطف في نصحه غاية التلطف حتى قال الناس يا ليت الإخوة مثلك فى الأدب والأخلاق!!

- وهذا الذي تربى على العاطفة فلا يحزن ... فربما رزق بزوجة تحتاج لمثل هذا العطف والحنان فأسعدته وأسعدها وربما سهلت عليه العبادات القلبية من حب ورجاء ورضا بسبب رقة قلبه ... بل هو أعظم الناس سعادة بالتفكر وأكثرهم تأثراً به بعكس جامد القلب وقاسي العاطفة ... بل ربما ابتلي بالعشق ليتخلص منه

ثم يصف للناس كيف تخلص منه؟ وربما استغل عاطفته في ربط المدعوين به وجذبهم إلى الدين .. فسبحان الله العظيم... وهذا الذي أحكيه حدث ورأيته كله فما كتبت هذا الكلام إلا بعد تجارب عملية رأيتها ولمستها ...

● وكذلك هذا الذي تربى على الأخلاق الفاضلة ربما عانى بسبب ذلك إذ هو لحيائه سيصعب عليه أن ينكر المنكر أو ينصح العصاة وربما منعه بره بوالديه أن يعصيهما في إطلاق اللحية مع أنه لا طاعة لهما في معصية الله.. فانظر إلى الخلق الحسن كيف أنه قد يترتب عليه آفات فليرض كل واحد بما فيه من طباع أولاً ثم ليرض ببلاء الله ثانياً وليستغل هذه الطباع في الخير ثالثاً والله المستعان.

● فليس الرضا أن يرضى العبد بما قسمه الله من أرزاق دنيوية فقط بل هو كذلك رضا بما وهبه الله للعبد من مواهب بل أعلى من ذلك الرضا بالله بدلاً عن كل ما سواه وبرسوله قدوة فلسان حاله يقول رضيت بالله رباً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام ديناً والله المستعان.

● وأختم باب الرضا بمسألة هامة وهي أن الدعاء بطلب الدنيا لا ينافي الرضا بشرط طلبها من أجل الآخرة كهذا الذي يدعوا بالنجاح في امتحانه ليرضى الوالدين أو يدعوا برزق المال ليحج ولكن الأولى ألا يقول: «رب نجحني» مثلاً ولكن ليقل: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة» وينوى بها ما يريد ففى الحديث: «كان أكثر دعاء النبي ﷺ ربنا آتنا في الدنيا وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» [رواه مسلم] وكان أنس يكثر من الدعاء بها فإن دعا بها وإلا جعلها في دعوته، وكذلك لو دعا العبد لنفسه برفع البلاء لم يناف الرضا بشرط أن يكون البلاء قد منعه من الطاعة فينوي رفع البلاء لذلك ففي الحديث: دخل رسول الله على مريض فقال: «**اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدواً ويمشي إلى صلاة**» فانظر كيف جعل الدعاء برفع البلاء من أجل القيام بالعبادة من جهاد وصلاة ... وإذا جاز الدعاء برفع البلاء عن غيره جاز عن نفسه والله الموفق.

د - الشكر: وهو أعلى من الرضا ويكفي في أهميته وفضله قوله عز وجل: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ فكأن غاية التقوى التي هي الغاية المنشودة غايتها شكر الله عز وجل فأعظم بتلك العبادة وأنعم.

والشكر له متعلقان:

أ - الشكر على النعماء. ب- الشكر على البلاء.

أ - الشكر على النعماء: وحقيقته أن يعترف العبد بالعجز عن شكر الله كما ينبغي وفي الأثر: «قال موسى يا رب إن شكرتك فمنك وإن أطعتك فمنك فكيف أشكرك؟ فقال يا موسى الآن شكرتني» أي لما اعترفت بالعجز عن الشكر، وإنما يتحقق يقين العبد بالعجز عن الشكر إذا علم أن الشكر على النعمة ـ نعمة تحتاج إلى شكر إذ لولا أن الله وفقه لشكره لما شكره فإذا بالأمر يؤول إلى لزوم الشكر وشكر الشكر يحتاج إلى شكر فلا يستطيع العبد مهما أوتي أن يوفي الله حق شكره.

- والشكر عمل قلبي في الأصل يعبر عنه العبد بلسانه فمن قال الحمد لله وهو غير معترف بفضل الله أو وهو يعصي الله فما شكره ومن استحضر بقلبه فضل الله ونعمته واستغل النعم في الطاعة فقد شكره وإن لم يقل الحمد لله.

- وكثير من الناس يشكر على نعم الدنيا من رزق وصحة ومأكل ومشرب، ولكن قليل من يشكر على النعمة الحقيقية وهي نعمة الإيمان والطاعة وقد قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ فطريق العبد في شكره على النعماء إذاً ألا يتحرك حركةً لله عليه فيها نعمة إلا ويحمد الله عليها فإذا صلى الفرض في المسجد مثلاً حمد الله على صلاة الجماعة ثم حمده على نعمة إدراك تكبيرة الإحرام فقد حرمها الكثير ثم يحمده على نعمة صلاة السنة القبلية، وكذلك لو استيقظ لصلاة الفجر أو لقيام الليل أو لصيام يوم وهكذا في كل طاعة يؤديها يشكر الله عليها وقد قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

● بل إنه إذا رأى أهل المعاصي قال: «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به وفضلني على كثير من خلقه تفضيلاً» كما يقول عند رؤية أهل البلاء في أمور الدنيا سواء فبلاء الدين أشد ونعمة السلامة في الدين أكبر.

● فإذا داوم العبد علي هذا أيقن بحاجته في كل طاعة صغرت أو كبرت إلى معونة الله وتوفيقه فيتحقق مقام قول النبي ﷺ : «**ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً**» حسنه الألباني وصححه المنذري بل ويتعود كذلك على مراقبة خواطر نفسه ودواعيها فما كان بالخير شكر عليه وما كان بالمعصية طرده واستغفر منه.

فوائد الشكر:

١- هو عبادة قلبية ثوابها عظيم وفضلها عميم فهي سبب زيادة الخير الواصل للعبد من الله قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾.

٢- كذلك المداومة على الشكر سبب لرقة القلب وصلاحه ويكفي في ذلك أن أقسى الناس قلوباً ـ بني إسرائيل ـ أمرهم الله بالشكر فقال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣] أي فكونوا مثله.

٣- كذلك الشكر سبب لرضا الله عن العبد وأعظم بها من نعمة ففي الحديث: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها**» ومن أكثر من الشكر ملأ ميزانه من الحسنات ففي الحديث: «**والحمد لله تملأ الميزان**» صحيح الجامع الصغير.

ب- الشكر على البلاء: وهو أن يحمد الله على البلاء كما يحمده على النعمة وهذا صعب إلا على من يسره الله عليه وطريق العبد لوصوله إلى هذه المنزلة العالية أن يستحضر ما ذكرناه في أمر الرضا ويزيد عليه أن يكون دائم التذكر لذنوبه والتفكر فيها حتى يشعر بكثرتها وبشدة حاجته إلى ممحصات ومكفرات فإذا

به عند نزول البلاء يفرح ويحمد الله إذ ذنوبه كثيرة لا تطهرها إلا البلاءات... ولا تستغرب هذا فإن العبد لو أبغض نفسه في الله لكثرة عصيانها وعلم أنها تحتاج إلى تطهير شامل من الذنوب لعرف صحة ما أقول وصار شكره على البلاء كالرخاء وأشد والله المستعان.

فـائـدة:

تناول الدواء لا ينافي الصبر ولا الرضا ولا الشكر إذ العبد مأمور شرعاً بالأخذ بالأسباب ومفطور طبعاً على مقاومة الأسباب الضارة بل ولا ينافى التوكل بشروط:

١- أن يكون أخذه للدواء طلباً لزوال ما يمنعه من الطاعة والعبادة منها لا لمجرد التنعم بالصحة.

٢- أن يكون توكله في الشفاء على الله لا على الدواء ودليل هذا أنه لو نسي أخذ الدواء أو عجز عن شرائه لم يجزع بل يتوكل على الله في الشفاء بدون الدواء فإن جزع فليس بمتوكل.

٣- إذا كان المرض لم يمنعه مستحباً ولا واجباً فالأولى والله أعلم ترك التداوي فإن تناوله العبد في تلك الحال متبنياً المذهب القائل باستحباب أخذ الدواء مطلقا فلينو حينئذ اتباع أمر النبي في قوله: «**فتداووا عباد الله**».

هـ - **اليقين:** وهو صفة المؤمنين الكمل يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤] وفي الحديث الصحيح: «**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين**» حسن السلسلة الصحيحة.

والناس فيه على درجتين:

أ - **يقين العمل:** وهو أن يكون عمل العبد عمل المتيقن ولكن قلبه لم يطمأن بعد بل فيه منازعات كهذا الذي يجاهد ولكنه يجبن ويجد في نفسه دواعي الهلع

والخور إذ لم توقن نفسه بعد بحديث: «**لا يجد الشهيد من ألم الموت إلا كما يجد أحدكم من ألم القرصة**» صحيح الجامع الصغير وهذا الذي هذه حاله قد فعل الواجب طالما لم يشك في صدق الخبر وإنما قل يقينه وعزمه.

ب- يقين القلب: وهو أن يكون العبد على يقين بقلبه من صدق الخبر فلا يجد تردداً في قلبه ... كذلك هو ثابت القلب لا تضره فتنة ولا شبهة فهو يعمل بطاعة الله ويترك معصية الله على نور من الله ... بل هو يعمل بالطاعة كأنما رأى الجنة ويترك المعصية كأنما رأى النار ... والله المستعان.

و- الصدق: وهو على درجتين:

أ- صدق في القول: وهو ألا يتكلم العبد إلا بما تيقن صدقه أو على الأقل بما يغلب على ظنه ذلك أما ما شك فيه فلا يتكلم به وهذا الصدق سبب لدخول الجنة ففي الحديث: «**وإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة**» صحيح الجامع الصغير.

ب- صدق العمل: وهو الأساس فصدق القول شعبة من صدق العمل ولهذا الصدق في العمل علامات:

١- ألا يفرح المرء بمدح الناس ولا يحزن من ذمهم فإن فعل فليس بصادق.

٢- ألا يركن في طاعته إلى ما تحبه نفسه بل إلى ما يحبه الله فهو يعمل المحبوب لله شرعاً وإن كان غيره أحب إلى نفسه كهذا الذي يجد راحة لنفسه في العزلة ولكنه يخالط الناس ليعلم جاهلهم وينصح مخطأهم فهذا هو الصادق حقاً.

٣- أن يعمل بطاعة الله لا لإسعاد نفسه بلذة العبادة فيركن إلي اللذة ولكنه يطيع ابتغاء مرضات الله وامتثالاً لأمره فهو يترك العلم أو العبادة مع تعلق قلبه بهما لقضاء حاجة المسلم أو لحضور عرسه وذلك لأن هذا أحب إلى الله من صيام النفل وهو كذلك يقوم على خدمة أخيه المريض ولو ترك قيام الليل الذي قد تعود عليه وشعر فيه باللذة إذ هذا أحب إلى الله وهو كذلك يمشي إلى المسجد بطيئاً كما

أمره الرسول حتى لو فاتته تكبيرة الإحرام مع أن قلبه يكاد يتقطع على فواتها وما أصعب هذا على النفوس الطائعات ولكنه حقيقة الصدق إذ هو عبودية القلب لله لا عبودية النفس. والله المستعان.

٤- أن يجتهد العبد في جعل باطنه خيراً من ظاهره فهذه علامة الصدق.

٥- ألا يجد فتوراً عن الطاعة فالصادق لا يكاد يفتر عن الطاعة.

٦- أن يقبل النصح من غيره ولا يجد غضاضة في قبول نصح الناس له بل يفرح ويشكر لهم ولسان حاله يقول لهم: «رحم الله امرئ أهدى إلي عيوبى».

٧- ألا يجد في نفسه حرجاً ولا ضيقاً لالتزامه بأمر الله وشرعه وإن لامه الناس جميعاً فها هو الصديق أبو بكر رضي الله عنه يعزم على حرب المرتدين ولا يستجيب للوم الصحابة له حتى استجابوا جميعاً له.

٨- أن يداوم العبد على الطاعة وإن انقطعت اللذة عنه فيها فهو لا يطلب اللذة إنما يطلب مرضاة الله.

ي - التوكل: وهو اعتماد القلب على الله لا مجرد الكلام وإنما ينشئ التوكل كثمرة للرضا بالله رباً فيتوكل العبد عليه كما أن الرضا بقضاء الله ثمرة من ثمرات التوكل على الله.

- وحقيقته أن يعلم العبد أنه لا حركة له في طاعة ولا إحجام له عن معصية إلا بالله وهو معنى «لا حول ولا قوة إلا بالله» ولعل استحضار هذا المعنى من أهم فوائد كثرة وقوع العبد في المعاصي فكم من عبد عزم على ترك المعاصي حتى إذا تركها فترةً ما وثق في نفسه واتكل عليها فإذا بالله الرحيم يبتليه بها مرة ثانيةً ليكمل توكله على الله وليثق في الله لا في نفسه.

- بل من أجل هذا المعنى يتأخر مجئ النصر لعباد الله الدعاة والمؤمنين لينقطع رجاؤهم في الأسباب فيكمل توكلهم على ربهم فيأتي النصر كما قال تعالى في سورة

يوسف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ فإذا استحضر العبد هذا لم ييأس من الله ويأس من نفسه فهي لا صلاح فيها ولا خير فيها إلا من الله وإلا بالله فإذا كمل يأس العبد من نفسه وكملت ثقته في ربه كان متوكلاً حقاً.

العيوب التي بالنفوس البشرية على قسمين:

١- **عيوب عامة**: سهل الله للعبد التخلص منها بالأخذ بالأسباب.

٢- **عيوب خاصة**: جعل الله في كل عبد عيباً ما كلما حاول التخلص منه لم يستطع فهذا عيبه الأنانية وهذا عيبه سوء الظن وهذا عيبه الرياء وهذا عيبه العجب وهذا عيبه الكبر وهكذا ... فتجد هذا الذي صعب عليه التخلص من الكبر مثلاً قد سهل الله عليه ترك الرياء وترك سوء الظن والعكس قد يكون فإن قيل فما بال العبد لا يتخلص من هذه العيوب؟ قلت لأنه ما كمل توكله على ربه فهذه العيوب جعلها الله في العبد ومنعه المعونة على التخلص منها ابتلاءً واختباراً فمن اعترف بعجزه التام عن تركها وبحاجته الملحة إلى ربه واستشعر الفقر الحقيقي إلى الله أعانه الله ووفقه للتخلص منها ومن ركن إلى نفسه ووثق فيها وظن في نفسه القدرة على تركها وكله الله إلى نفسه فضاع وخاب.

ما يعين العبد على التوكل:

١- علمه بأن الله يحب له الخير بل يحب ذاته إذا كان مؤمناً أكثر من حب العبد لنفسه وفي الحديث: «**والله لله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها**» فإذا علم العبد هذا وعلم كمال علم الله فوض أمره إلى الله ليختاره له الأفضل وفي الحديث: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**» فمن استحضر هذا ركن إلى الله واعتمد بكليته على الله وفوض الأمر

إليه فإن اختار له الحياة فهي أفضل وإن اختار الموت فهو أفضل فكم من عبد عاش فما زاده عمله إلا خيراً وكم من عبد عاش فما زاده عمره إلا شراً...

وهو كذلك لا يريد الصحة ولا المرض بل يريد ما أراده الله فإن اختار له المرض فهو أفضل وإن اختار له الصحة فهي أفضل وكذلك لا يختار لنفسه فقراً ولا غنىً بل لسان حاله يقول: «الفقر والغنى مطيتان لا أبالي أيهما ركبت فإن كان الفقر ففيه الصبر وإن كان الغنى ففيه الشكر».

٢- أن ييأس العبد من حول نفسه وقوته وطريق ذلك أن يتفكر في كل عمل اعتمد فيه على نفسه واطمأن إليها فيجد نفسه قد خاب فيه وما أكمله فإذا به يعرف حقيقة الأمر وهو أن الأمر كله بيد الله سبحانه وتعالى فيتوكل عليه.

٣- أن يثق العبد في حسن اختيار الله له وطريق ذلك أن يتفكر العبد في كل ما مر به من أحداث فيجد أن الله الحكيم الرحيم ما نقله من مكان إلى مكان ولا من عمل إلى عمل وإلا وله عليه منن ونعم ... فهذا يمنع من إعطاء الدروس فإذا به يتفرغ لتأليف الكتب وتصنيفها فبدلاً من سماع درسه العشرات إذا بكتبه تقرأها المئات والآلاف ... وهذا ينتقل من بلده التي تربى فيها وهو حزين فإذا به يجد في البلد التي انتقل إليها يجد فيها إخوةً ودروساً وعلماً لم يكن ليحصل على عشره في بلده الذي كان فيها... وهذا ينام عن امتحانه فلا يحضره فيدخل كليةً لا يرضاها لنفسه فإذا به في كليته يلتقي بإخوة أفاضل يتعلم على أيديهم الدين والعلم الشرعي الذي ما كان ليحصله على يد غير هؤلاء الإخوة ... وهذا يرسب في كليته فإذا به يجد أنه لو نجح لدخل الجيش ولحلق لحيته بينما لما رسب أعطيت دفعته تأجيلاً ... وقس على هذا مما لا تحصيه العبارة.

٤- أن يعلم العبد أن الكون كله والمخلوقات كلها ملك لله يتصرف فيها كيف يشاء ولا يملك أحد لأحد نفعاً ولا ضراً فإذا أيقن العبد بهذا توكل على الرب لا على المخلوق بل أصبح لا يعبأ ولو اجتمع من في الدنيا كلها عليه تريد كيده.

٥- أن يكون العبد مؤدياً حق ربه على وجه العدل والتوازن بين العلم والعمل وهذا العدل معناه أن يعمل بالحد الأدنى مما علم وما فضل عن وقته قضاه في ما قد برز فيه سواء كان العلم أو العمل وهذا هو حل الإشكال الكبير الذي طالما تساءل الناس عنه هل يقدم العلم أم العمل؟ فنقول يتعلم العبد العلم الواجب عليه من توحيد وفقه ويعمل بالواجب وما فضل عن وقته قضاه في العمل بالحد الأدنى مما يعلم استحبابه ثم ما فضل من الوقت قضاه فيما برز فيه ويشعر بأنه سيتفوق فيه سواء كان العلم أو العمل فإذا كان العبد بارزاً في باب العلم فإنه سيكون أثناء عبادته كامل اللجوء إلى الله أن يبارك له في وقته ويقلل له من نومه ليقضي نهمته من العلم الذي يريد وكذلك لو كان بارزاً في العمل كان أثناء تعلمه صادق اللجوء إلى الله ليعلمه ما يعمل به... وإلا فقد خدع بعض طلبة العلم فظنوا أن العمل بالعلم يعوقهم عن طلب العلم وجهلوا أن النفس كالآلة لابد لها من بنزين ووقود ووقودها هو العمل بالعلم بل نسوا كم ضاع عليهم بسبب ترك العمل من وقت قضوه في نوم أو أكل بعكس العامل الزاهد الذي يعرف قيمة كل لحظة تمر به والله المستعان ... فالغرض المقصود بيان أن كمال التوكل لمن اعتدل في الجمع بين العلم والعمل لا لمن طغى أحد الجانبين عنده على الآخر فصار يتعبد وهو يجهل التوحيد والإيمان بالقدر أو صار يتعلم وهو لا يكاد يقرأ القرآن أو يخشع في صلاته!!!

ويرتبط بباب التوكل على الله مسألة هامة وهي: أن التوكل ليس بترك الأسباب بل بترك الاعتماد على الأسباب فالمتوكل يأخذ بها ولكنه لا يعتمد عليها فها هو النبي عليه الصلاة والسلام يهاجر إلى المدينة متخفياً ومعه الزاد والراحلة أخذاً بالأسباب ... فإن قيل قد صح عن خالد بن الوليد أنه أكل السم توكلاً على الله فلم يضره وصح عن بعض الزهاد أنه دخل الصحراء بلا زاد فرزقه الله بالطعام؟ قلت هؤلاء أفاضل قام بقلبهم من الثقة بالله والتوكل عليه ما كان سبباً في إعطائهم ما أملوه من الله ولكن الحال الأكمل حال كبار الصحابة وكبار الزهاد من

الأخذ بالأسباب وعدم الاعتماد عليها فمن السهل على العبد ترك الأسباب بالكلية ولكنه يصعب عليه الأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد عليها كما يسهل عليه ترك أكل الطيبات بالكلية بينما يصعب عليه أكل الطيب ومعرفة طيب طعمه ثم لا يشبع منه، فإذا أخذ العبد بالأسباب واعتمد على رب الأسباب فصار لا يقدم على صغير ولا كبير من أمره إلا واستخار ربه وفوض الأمر إليه ووثق في حسن اختياره إن فعل ذلك فحينئذ يكفيه الله ويقيه وفي الحديث: «**إذا خرج العبد من بيته فقال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قيل له كفيت وهديت ووقيت**» بل تأتيه الأرزاق من حيث لا يحتسب ففي الحديث: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطاناً**» بل يكفيه الله الناس جميعاً ولو اجتمعوا عليه بل قد يكرمه بالمعجزات والكرامات ففي الحديث: «**حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار وقالها رسول الله حين قالوا له إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم**» بل يكون الله بذاته العلية المقدسة هو حسبه وناصره فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ ولا يكون العبد مؤمناً إلا بالتوكل على الله قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

والناس في التوكل على درجات: فمنهم من يتوكل على الله في الحصول على الرزق وهذا توكل الكثير بل من الكفار يتوكل على الله في هذا ومن الناس من يتوكل عليه في تعليمه ما لم يكن يعلم من العلوم الشرعية ولا يكون هذا التوكل إلا ممن علم أن العلم ليس عن كثرة المسائل إنما هو الفهم من الله وعن الله، وليس بكثرة القراءة إنما هو بإخلاص القلب لله، ومنهم من يتوكل على الله في دعوته للناس وفي هدايتهم وهذا توكل الرسل ولا يكون هذا التوكل إلا ممن يأس أن يهدى الناس بفعله ومهارته وعلم أن الهداية من الله يرزقها من يشاء فحينئذ يتوكل على

الله وهذا هو تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ أي يأسوا من أنفسهم ووثقوا في الله، ومنهم من يتوكل عليه في الثبات على الدين إلى الممات ولا يكون هذا التوكل إلا ممن تحقق بقول النبي: «**القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**».

ن - الخشوع: وهو عمل قلبي يظهر أثره على البدن وهو سبب فلاح العبد فقد قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴾ وبسببه عاتب الله صحابة رسوله الكرام فقال: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾.

ولخشوع القلب أسباب:

١- الإكثار من الصيام وتقليل الطعام فالنفس تقسو بكثرة الطعام وتلين وتخشع بقلته.

٢- الإكثار من ذكر الله فالقلب الغافل قريب من وسوسة الشيطان وبعيد عن الإخبات إلي الرحمن بعكس القلب الذاكر.

٣- الاجتهاد في تدبر القرآن فهو من أكبر أسباب خشوع القلب.

٤- تعلم العلم الشرعي ومدارسته فهو أقرب الطرق الموصلة للخشوع وقد أخبر بعض العباد أنه اجتهد في العبادة سنين ثم طلب العلم فكان الخشوع الذي ناله في شهور بعد طلب العلم أكبر بكثير مما ناله في سنين العبادة وهذا أمر مشاهد.

٥- البعد عن المعاصي إذ هي سبب سواد القلب وغفلته.

٦- ترك فضول النظر وفضول الكلام وترك النوم الكثير.

٧- الإكثار من النوافل وإطالة الصلاة حتى يلين القلب ويخشع وإلا فكثير من الناس يطلب الخشوع في الصلاة وينسى أن الأصل خشوع القلب والخشوع في

الصلاة إنما هو أثر من آثار خشوع القلب ولا يصل عبد إلى الخشوع في صلاته حتى يخشع قلبه.

٨- دوام تفكر العبد فيما يمر به ويشاهده فإنه يورث سكينة القلب والنفس وطريق ذلك أن يجعل العبد لكل ما يمر به تذكرةً بالآخرة فإذا شم ريحاً خبيثة تذكر طعام أهل النار فاستعاذ بالله من عذابها إذ طعامهم الغسلين المنتن الذي هو أشد خبثاً من المجاري، وإذا شعر بشدة الحر الذي لا يطاق تذكر نار جهنم فإذا شعر بالزمهرير الذي تهتز معه أعضاؤه برداً تذكر زمهرير جهنم فاستعاذ بالله منها، وإذا رأى تنور الخبز «الفرن» تذكر النار وإذا شم ريحاً طيبة أو رأى خضرةً تذكر الجنة، وإذا توضأ أو اغتسل تذكر كيف أنه يغسل بدنه ولم يغسل بعد قلبه من الذنوب وإذا تطيب تذكر أنه لم يطيب قلبه من المعاصي والأمراض بعد، وإذا لبس ملبساً حسناً تذكر أن مظهره حسن أما باطنه ففيه سواد وكدرة وتذكر قول بعض السلف: «كم من مبيض لثيابه مدنس لدينه» فالمداومة على هذا تؤثر تأثيراً عجيباً في القلب والله المستعان ....

ل - **المحبة:** وهي أهم عمل في أعمال القلوب والناس فيها على أقسام:

أ - **من عنده محبة العمل:** وهو من يفعل ما يحبه الله وإن كانت نفسه كارهة ولكنه يجبر نفسه على هذا فهي تلومه على هذا وتشعر بالكراهية لهذا فهذه أولى درجات المحبة.

ب - **من عنده محبة القلب:** وهو من يعمل بما يحب الله ونفسه راضية مختارة وإن كان فيه خلاف ما تهواه نفسه وهذه هي المحبة الحقيقية وللوصول إلى هذه الدرجة أسباب:

١ - متابعة السنة في كل صغير وكبير فقد قال تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فالمحب الكامل هو الذي يتبع السنة في كل حركة

وسكنة ولا يترك سنة علمها إلا وعمل بها كالوضوء كلما أحدث وكالمداومة على سنة ما قبل الخروج من البيت وما بعد دخوله وغيرها من السنن والله المستعان فلا يزال العبد يداوم على النوافل حتى يصل إلى محبة الله بل ويحب الله ذاته ففي الحديث القدسي يقول الله: «**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به**».

٢- داوم ذكر الله وبالأخص قراءة القرآن مع التدبر.

٣- اجتهاد العبد في الخشوع في الصلاة والإكثار منها.

٤- تذكر العبد وتفكره في نعم الله عليه فالمحبة تنمو على حافات المنن فمن الذي اختاره للإسلام وهو في ظهر أبيه آدم؟ ثم من الذي هداه إلى اعتقاد أهل السنة ولم يجعله من الصوفية أو الجهمية أو الأشاعرة أو المعتزلة أو التكفير والهجرة؟؟ فهذه نعم من الله على العبد بلا سبب من العبد.. فكما آثرك الله على ما سواك ... فآثره على ما سواه ... والله المستعان بل لا ينقل الله عبده من حال إلى حال أو من مكان إلى مكان إلا وله عليه في ذلك أفضال ولو تفكر العبد في هذا لعلم صدق ما أقول.

٥- تفضيل الله على شهوات النفس والهوى فإنها من أكبر ما يحول بين العبد وبين محبة ربه.

عوائق الناس عن الوصول إلى هذه المحبة:

١- ركض القلب وراء الشهوات من حب للمال وللجاه والسلطان أو اهتمام زائد بالملبس والمأكل.

٢- تشتيت العبد لقلبه في أودية الدنيا فهو يسعى ليل نهار في تحصيلها وكسبها.

٣- حاجة العبد إلى العمل الكثير لينفق على نفسه أو أسرته خاصة مع الطغيان المادي الذي نعيشه.

٤- عدم فهم العبد لطبيعة سعيه في الطريق.

٥- عدم تحديد العبد لهدفه.

٦- عدم فهم العبد لطبيعة نفسه وكيفية ترويضها.

علاج هذه العوائق:

١- أما عن جري العبد وراء الشهوات فقد ذكرنا في أول الكلام ضرورة سلوك طريق الإصلاح وأسباب ذلك، وكذلك بينا ضرورة جعل العبد لهمه هماً واحداً وهو الوصول إلى رضا الله وأن يكون سعيه الأكبر لا في تحصيل الدنيا وإنما في إصلاحه لنفسه.

٢- أما عن حاجة العبد إلى الإكثار من العمل لينفق على نفسه أو أسرته وربما ليتزوج خاصة لو خشي على نفسه من الفتنة فهذا هو الأمر المشكل إذ صاحبه طالب للهداية ولكن الأسباب التي وضع فيها والظروف قد لا تلائمه .. وكم كان يشتكي إلي الإخوة بسبب هذا الموضوع، وعلاج هذه المشكلة من وجهين:

أ - بيان أن هذه الحال حال فاضلة يمكن استغلالها خير استغلال:

وذلك أن المحبة ميسرة لكل أحد ليست حكراً على الأغنياء الذين وفرت لهم أساليب المعيشة ... لا بل يسرها الكريم لكل أحد على حسب ظروفه وعطايا الرب متنوعة وعلى قدر المئونة تأتي المعونة وعن ابن المبارك أنه كان مع أصحابه في الجهاد فقال لهم من حاله خير من حالنا؟ فقالوا لا أحد... فقال بل الساعي على أولاده ورزقهم خير منا والله لروعة ولده وبكائه خير من كل أعمالنا وفي الحديث الصحيح: «**ولو كان يسعى على أبوين كبيرين فهو في سبيل الله ولو كان يسعى على نفسه يعفها عن المسألة فهو في سبيل الله**» فأقول لمن هذه حاله لتنو بطلبك الرزق أن تقوم بالواجب من إعفاف ولدك وأهلك عن المسألة فالواجب ثوابه أكبر من المستحبات وقيام الليل وصيام النهار مستحبان وما كان

ثوابه أكبر كان إصلاحه للنفس أعظم ثم أقول لأصحاب الهمم العالية لينو أحدكم أن يكون قدوةً لكل من كان في مثل ظروفه فيقال يوم القيامة لكل من سعى على أولاده ولم يصل إلى المحبة يقال لهم هاهو فلان كان في مثل حالكم ووصل إلى المعرفة فما حجتكم؟!

إخواني ... لا تحزنوا لقلة المال وسعيكم على الأولاد ... فوالله لسعي المخلصين منكم أفضل من سعي العباد ... هم ينشغلون بالمستحبات... وأنتم تسعون في الواجبات ... كثرة أوقات عبادتهم ... قد تورث العجب والآفات ... وقلة أوقاتكم ... تورث النيات الصادقات... ما أسهل الفتور عليهم لكثرة الأوقات ... وما أبعده عنكم ... إذ تشعرون بالتقصير في الطاعات ... وما أقرب التوكل منكم ... لانعدام الأسباب المطغيات.. وما أبعده عن كثير منهم ... فطوبى لنفوس لما أقول واعيات...

ب- بيان كيفية القيام بالعبادة والعلم مع هذه الحال:

فنقول هذا العامل لا يخلو من حالين:

١- يستطيع مع عمله أن يقوم بذكر الله أو بسماع الأشرطة الدينية كصيدلي أو مهندس على كمبيوتر مثلاً أو عامل على آلة في مكان وقس على هذا... فنقول له ... قسم وقت عملك إلى فترات ففترة تسمع فيها شرائط قرآن لتثبت حفظك أو لينور الله قلبك إن لم تكن حافظاً وفترة تسمع شرائط دروس علم منهجي كدروس فقه وتوحيد وتفسير وغيرها، وهذا والله من رحمة الله فهو الرحيم سبحانه إذ كانت حياة السلف لا مادة فيها وكان الرزق القليل يكفيهم فهذا أحدهم يفتح دكانه فإذا باع حبة أغلقه وتفرغ للعلم والعبادة!! فلما أتى عصر الماديات وكثرت الالتزامات على الناس يسر الله لهم أسباباً في الدين لم تكن لدى السلف كالأشرطة والـ CDS وغيرها فسبحان الرحمن الرحيم ... فالواجب علينا استغلال هذا ... فإن قال قائل العلم يحتاج إلى تركيز وكتابة؟ قلت كرر سماع

الشريط الواحد مرتين وثلاثاً حتى تحفظ ما فيه فإن قال فالقرآن يحتاج إلى تدبر وتركيز وقد لا أستطيع مع عملي؟ قلت وجود الجو الإيماني حولك وكثرة ترداد سماع القرآن يؤثر في النفس ... نعم تأثيره قد يكون أقل من تأثير جو التدبر ولكنه أفضل من الغفلة بل مع المداومة على هذا يتأثر القلب بإذن الله ودليل هذا ما كنا نشعر به جميعاً أثناء حفظنا للقرآن ونحن صغار كان الواحد منا يقرأ القرآن ليل نهار ليحفظ وبدون تدبر وكان أحياناً كثيرة ما يجد نفسه قد تبكي وتتأثر مع أنه لم يكن يسعى للتدبر ولكنه أثر القرآن العظيم في القلوب.

ملحوظة: لا يجوز انشغال العبد أثناء عمله بما يضيع العمل أو ينقصه عن الكمال إذ صاحب العمل قد ائتمنه عليه ليؤديه على أكمل وجه فإن كان المال مال هذا الشخص أو الدكان ملكاً له فليصنع في مال نفسه ما يشاء.

٢- لا يستطيع مع عمله أن يقوم بهذا كالحافر والزارع في الأرض وغيرهما من الأعمال الأخرى فهذا له حالتان:

أ - **يعمل جزءاً من النهار:** فنقول له عليك باستغلال وقتك في الذكر والتفكر قدر المستطاع واجعل ما تشاهده في عملك تذكرةً بالآخرة ولو كان ذكرك من غير تدبر فهو خير من الغفلة فإذا انصرفت من العمل فلتشغل الوقت في العبادة والعلم.

ب - **يعمل طيلة النهار إلى وقت نومه:** أو مجهوده الشديد يجعله ينام بقية النهار فلا يكاد يتفرغ للعلم والعبادة فنقول لهذا اشغل عملك قدر المستطاع بالذكر والفكر وإذا أديت الصلاة ونوافلها فلتتضرع إلى الله بصلاح قلبك فدعاء المضطر مستجاب ثم أمامك ثلاثة مواسم تأخذ فيها الطاقة التي تغذي قلبك طوال العام وهي:

١- يوم الجمعة أو يوم إجازتك لو كان لك يوماً آخر فتخصص لنفسك وقتاً تسمع فيه درس توحيد ثم درس فقه فهما العلمان الواجبان على كل عبد مسلم

ثم اشغل بقية اليوم في التطوع بصلاة النوافل وقراءة القرآن والذكر والاجتهاد في التدبر فيهما قدر الطاقة ولا تجزع فو الله لا يضيعك الله أبداً وأنت تبذل قدر طاقتك واصبر فإذا بنفسك شيئاً فشيئاً تشعر بحلاوة القرآن والذكر والصلاة إلى أن تصل بإذن الله...وطبعاً لا يتصور أن تكون مضيعاً لوقتك سواء أنت أو من كان له عمل يشغله مثلك فلو قضيتم أوقات عملكم في العمل وأوقات بيتكم في النوم والغفلة فمتى تصلح القلوب؟

٢- شهر رمضان: فقم فيه بالعبادة من الذكر والصلاة والقرآن قدر المستطاع ويا حبذا لو تفرغت تماماً في العشر الأواخر بالاعتكاف.

٣- العشر الأوائل من ذي الحجة فهي أفضل أيام العام فاشغلها هي الأخرى بالعبادة ولا تنس مع هذا دوام التضرع إلى الله والافتقار إليه بصلاح القلب مع استغلال كل فرصة ممكنة لهذا فإن قلت فمتى أجالس أهلي وأولادي؟ قلت صاحب الهمة العالية مع الشعور بالتقصير سوف يقلل من نومه وأكله كثيراً وسيحافظ على الأوقات فإذا بالوقت يتسع لكل هذا بل أقول مع مداومة العبد على هذا الطريق وشعوره بالتقصير سيجد أنه قد بدأ يأخذ من أوقات نومه في أيام عمله فيجعل بعضها لمجالسة الأهل والولد وبعضها للعبادة ... فاثنان لا ينامان إلا قليلاً: القلق المشغول والمحب المسرور أما المحبة فتنال أواخر الطريق وأما القلق الشاغل فيسهل في أول الطريق على صاحب الهمة العالية والله المستعان.

فإن قلت فأين قيام الليل؟ قلت كل عبادة لها غرضان: غرض لقيامها بوصفها وغرض لإصلاح القلب بمفرداتها، فقيام الليل مثلاً مقصود منه أن تتعبد لله في الليل بالصلاة ويقصد به أيضاً أن تصلح قلبك بالصلاة وقراءة القرآن مع التدبر فإذا لم تستطع التعبد بالليل فلتقم بما تقدر عليه من كثرة الصلاة وتدبر القرآن نهاراً حتى تصل إلى مرحلة أخذك من نومك لفرط السعادة أو لشعورك بالتقصير فحينئذ تستقيم على قيام الليل ولو بعد حين.

٣- أما عن عدم فهم العبد لكيفية سعيه في الطريق: فعلى العبد أن يعلم أن الطريق يحتاج إلى صبر في البداية حتى يذهب ألم المكابدة فتستقيم نفسه على الطريق حتى يصل.

وعليه أن يفهم كذلك أن الطريق ليس تعذيباً لنفسه إنما هو تهذيب لها فبدلاً من أن تكون شهوانيةً لا هم لها إلا الشهوات إذا بها تزكوا وتطيب وإلا فلا يتمتع بمباح الشهوات أحد مثل الزهاد إذ النفس الشهوانية تسأم مع كثرة التمتع بالشهوات بعكس الزاهد العاقل فإنه يأخذ من المباح أخذاً طيباً لا إسراف فيه ولا بذخ فهو يؤدي حق أهله من معاشرة بالحلال ابتغاء الذرية التي تعبد الله ويأخذ من الطعام ما يعينه علي الطاعة والعبادة فالأكل عنده وسيلة لا غاية وكذلك هو يتكسب من المال ما يعف به نفسه عن مسألة الناس والحاجة إليهم دون طلب للعلو في الأرض والتعالي فيها فإذا وجد العبد نفسه قد اقتنعت بهذا وسلكت الطريق راضيةً حمد الله وسأله الثبات فإن امتنعت تضرع إلى ربه بهدايتها وحاول إقناعها ثانيةً فإن وجدها لا تستجيب استعان بالله عليها وقسرها عن الشهوات رغماً وأجبرها على الطاعات جبراً واستعان بربه على ثباته وهداية نفسه.

كذلك على العبد أن يفهم أن الطريق طريق قلوب وليس قوالب جامدة فقد يحتاج أحياناً إلى شبع لجوعه أو إرضاء لأخيه في الله فلا بأس بذلك بشرط ألا يزيد على الشبع وألا يشرب الماء إلا بعد خفة البطن من الطعام كما قال سفيان: «كل ما شئت ولا تشرب الماء» يقصد لئلا تنتفخ المعدة فيثقل عن العبادة وقد كان رسول الله وصحابته يشبعون أحياناً ولكن المطلوب عدم التخمة.

كذلك قد يحتاج إلى ترك قيام الليل أحياناً لمصلحة أهم كالبحث عن مسألة علم واجبة عليه أن يعلمها أو يتعلمها أو لخدمة مريض ونحوه فلا بأس بذلك مع النية الصالحة الصادقة.

٤- أما عن عدم تحديد العبد لهدفه: فهذا عائق كبير لدى كثير من الناس فتجد المحب للعلم متحيراً هل يسلك طريق العلم أم يتعبد؟ وترى المحب للعبادة متحيراً هل يتعبد أم يسلك طريق العلم؟ فنقول لو رأى العبد في نفسه حباً للعلم وهمةً فيه وحباً لتعليم الناس فليبدء به ولا يضع نفسه فها هو عبد الله العمري الزاهد ينصح الإمام مالك بالعبادة فأرسل إليه مالك رحمه الله أنه رأى نفسه تصلح للعلم فجعلها فيه وهذا هو الفهم والفقه ... فنقول للمحب للعلم اسلك طريقه واقض أوقاتك فيه فتعلم الواجب عليك واعمل بالواجب ثم تعلم المستحبات واعمل بالحد الأدنى من أصلها ثم اشغل بقية الوقت في طلب العلم وتعليم الناس وليكن تعلمك لا للشهرة ولكن لتعليم الناس الخير ... وأقصد بالحد الأدنى من أصلها أن تصلي مثلاً من الضحى اثنتين أو أربعاً وليكن لك ورد من أذكار الصباح والمساء وهكذا فاصنع في كل العبادات.

• ومن وجد في نفسه حباً للعبادة وشوقاً إليها فنأمره أيضاً بتعلم العلم الواجب من توحيد وفقه والعمل به ثم ليقض بقية وقته في العبادة والتفكر والذكر وليجعل همه أيضاً أن يصلح نفسه ويعرف طريقة ذلك ليعلمها للناس وليبين لأهل العلم ما ذاقه من إيمانيات ليتكامل المجتمع المسلم فأهل العبادة يكملون أهل العلم والعكس بالعكس.

• ولكن لابد للجميع من الصدق في الطلب أما التخليط في طريق العلم فيطلبه أحياناً ويتركه أحياناً أو يشغل نفسه بأكثر من شئ فهذا لا يصح وقد قالوا: «صاحب بالين كاذب» وكذلك العابد لا يضيع وقته فيما لا ينفع بل يتفرغ لما هو فيه.

• وكذلك الداعية عليه أن يتعلم العلم الواجب ثم يدعوا الناس إليه ويحفظهم القرآن ويجالس المدعوين ليحل لهم مشاكلهم ويساعدهم على الالتزام ويصدق في دعوته لله سبحانه.

٥- أما عن عدم معرفته بطبيعة نفسه: فعلى العبد أولاً أن يعرف أن النفس إذا شعرت بالحرمان نفرت عن الطريق فلا يشعر نفسه بالحرمان بل يقنعها كما بينا من قبل ثم لينظر في نفسه ما الذي يحفزها على العمل؟ فبعض النفوس يحفزها طلب الكرامات والأعطيات فعلى هذا العبد أن يقرأ في سير الصالحين وكيف أكرمهم الله لما أطاعوه وبعض النفوس تطلب الشهرة والإمامة للناس فعلى صاحب هذه النفس أن يقنع نفسه بأن طريق الإمامة هو الالتزام بطاعة الله وسلوك طريق المعرفة ولكن لينتبه هذان الصنفان لأمرين:

أ - أن يكون طلبهما للشهرة والإمامة أو للكرامة ليس لمدح الناس ومراءاتهم ولكن ليعلما الناس العلم وينفعاهم.

ب- أن يعلما أن الإمامة والكرامة لا تأتيان سريعاً فالأمر يحتاج إلى صبر بل أعظم الكرامة أن يبارك الله للمرء في الوقت وأن يوفقه للاستقامة على طاعته فإن لم تأت الكرامة الحسية فالكرامة المعنوية خير منها وأنفع.

● فإن قيل كيف تصل النفس التي تطلب الكرامة والشهرة؟ قلت هكذا قال السلف فقد قالوا: «طلبنا العلم لا لله فأبى إلا أن يكون لله» وقد نبهت على أن طالبهما من أجل مدح الناس وكلامهم لا يصل أما من طلبهما لنفع الناس فهما سببان لتثبيته على الطريق ثم مع ممارسته وخوضه في العلم سيذهب الله عنه هذا شيئاً فشيئاً والله أعلم.

● وبعض النفوس تحب نفع الناس وتعليمهم وتوصيل الحق إليهم فطريقها أحسن الطرق وأبعدها عن المهلكات وإلا فالفارق بين من طلب الدين للإمامة لينفع الناس وليكون عملهم اقتداءً به في ميزان حسناته كإبراهيم لما قال: ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴾ أو عباد الرحمن لما قالوا: ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ الفارق بينهم وبين من طلبها للرياء كالشعرة ولا يكاد ينتبه لهذا إلا المخلصون والله المستعان ... ولكن معظم النفوس جبلت على محبة الإمامة

والكرامة والله الموفق فنقول لمن يحب نفع الناس اطلب طريق المعرفة ولتكن نيتك أن يصلح الله نفسك وتعرف كيف وصلت لتعلم الناس.

- وبعض النفوس فقدت الثقة في نفسها فإذا بها لا تتصور لنفسها وصولاً ولا كرامة بل ترضى لنفسها بالأقل فنقول لصاحب هذه النفس لا تبخس نفسك حقها فقد حكى ابن كثير عن رجل أنه بدء طلب العلم وهو ابن ستين سنة ومات وقد صار مجتهداً وهو ابن خمس وثمانين سنة!! وهذا رجل في الإسكندرية سجن من أجل بيع مخدرات فخرج من السجن وهو ابن ستين سنة وكان أمياً والله فتعلم اللغة العربية وحفظ كتاب الله في سنتين وحضر الدروس وصعد يخطب الناس مرة يوم الجمعة حتى إذا تشهد خر ميتاً فمات يوم الجمعة وبعد الشهادة وعلى المنبر!!!!

ك - التوبة: وهي منزلة وعبادة لازمة لكل أحد فقد قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ وقال عمن لم يتب: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ .

وشروطها:

١ - الندم على الفعل ففي الحديث: «**الندم توبة**».

٢ - العزم على عدم العودة عزماً أكيداً.

٣ - الإقلاع عن الذنب وتركه.

٤ - رد الحقوق والمظالم إلي أهلها وتحللهم منها.

- ومن تاب من ذنب وأصر على غيره غفر له ما تاب منه على الراجح فإن عاد إليه كتب عليه ذنب واحد طالما كان صادقاً في توبته.

- وحقيقة التوبة أن يعترف العبد بتقصير نفسه وأن يداوم على الاستغفار من سيئاته وذنوبه يتحقق هذا بعدة أسباب:

١- أن يداوم العبد على ذكر سيئاته فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ وقيل: «نقش داود خطيئته في كفه لينظر إليها كلما فتر عن العبادة».

٢- قرآة العبد لسير السلف ليعلم تقصير نفسه الشديد وليندم على ما ضيع من وقت في غير الطاعة.

٣- أن يعترف العبد بعجزه عن ترك السيئات إلا بالله فلا حول ولا قوة إلا بالله ويتحقق العبد هذا بما يراه من كثرة عودته إلى المعاصي التي ظن نفسه قادراً على تركها.

٤- أن يكون العبد على خوف دائم هل قبلت توبته حقاً أم أنه لم يتب بالفعل إذ توبتنا تحتاج إلى توبة.

٥- أن يستبدل العبد بالرفقة السيئة رفقةً صالحة تعينه على طريق الهداية.

عوائق العبد عن التوبة:

١- إدمان العبد للمعصية حتى ينعدم من قلبه داعي التوبة كهذا الذي أدمن النظر إلى النساء أو المردان حتى صار عاشقاً فنقول له أنت السبب في ذلك ومثله من أدمن العادة السرية حتى استحال عليه تركها فمثل هذا لا علاج له إلا أن يتداركه الله برحمته فيلهمه التوبة... فيا معشر الطائعين ادعوا الله لإخوانكم العصاة .... كم يشق على النفوس أن تحرم التوبة ... أما سمعتم عن الثلاثة الذين خلفوا ... كيف ضاقت عليهم الأرض الرحبة!! إخواني الطائعين .. أما تعلمون حال من غرق في الشهوات ... فادعوا الله لهم في الخلوات .. فهم والله مساكين الأرض والسموات ... واحذروا أن تظلموا أنفسكم مثلهم ... فيحرمكم ربكم كما حرمهم ... إخواني العصاة ... لا تأيسوا من رحمة ربكم فأنتم له عبيد ... عساه أن يجعل من دعاء إخوانكم لكم السبب المديد ....

٢- اليأس من رحمة الله لكثرة تعثره في الذنب كلما تاب عاد فنقول علاج هذا المرض بعدة أسباب:

أ - أن يعلم أن الفشل في التوبة ربما كان لثقته في نفسه وعدم اعتماده على ربه في التوبة فإذا يأس العبد من نفسه ووثق في ربه رزقه الله التوبة.

ب - أن يعلم العبد ما الذي أوقعه في المعصية ثانيةً وثالثةً ويتفهم أسباب ذلك ليعلمها للناس فإذا به يخرج من معصيته داعيةً إلى الله معلماً للخير، وكثير من النفوس إذا شعرت بالأمل عادت وسعت في الطريق.

جـ - أن يعلم العبد أن حاله هذه لو صدق الله فيها لاستفاد منها الكثير وفي الحديث: «**إن المؤمن خلق مفتناً تواباً**» أي كثير الوقوع في الزلل مع كثرة توبته وعودته في كل مرة إلى الله - بل العبد مع كثرة خطأه يتعلم آفات المعصية وأسباب الوقوع فيها وغير ذلك من الفوائد ... فالعبد المذنب التائب خير ممن لم يذنب لو تساويا في أعمال القلوب ... فالعبد الفطن هو الذي يتفكر مع نفسه بعد وقوعه في المعصية ليعلم ما الذي استفاده من معصيته فإذا أدمن العبد هذا الباب صارت المعصية بعد التوبة منها نعمة يشكر العبد ربه عليها وقد كان بعض الدعاة يقول: «ما عصيت الله قط وإلا وحمدت الله بعد توبتي منها لكثرة ما أستفيد من المعاصي».

بل لو تفكر العبد في الأسماء الحسنى المرتبطة بوقوعه في المعصية لقام بقلبه من الإيمان ما لا يقع له مثله في الطاعة فيتفكر في اسم الله الستير الودود الذي ستر عليه ولم يفضحه ولم يقبضه على المعصية بل أمهله حتى تاب ثم يتأمل اسم الحليم الذي قيض له أسباب التوبة وصفح عنه ويتفكر في اسم الله التواب الذي يفرح بتوبته كأنه لم يذنب ولم يخطئ وفي اسمه الصبور والعفو والكريم فيحب الله أكثر من ذي قبل بل وينشئ بقلبه الحياء من الله سبحانه على مزيد كرمه مع مزيد عصيان العبد والله المستعان ...

٣- شعور العبد بأنه لو تاب لحرم نفسه من السعادة بالمعصية وهذا جهل عريض إذ يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ ويشعر بهذا الضنك العبد العاصي الذي في قلبه بقية خير وإيمان فإنه يتألم بالمعاصي جداً أما الذي أدمنها فإنه ينعدم من قلبه التألم بالمعاصي لموت قلبه فيصير كالأجرب الذي يهرش جلده ويشعر بالسعادة مع أنه في الحقيقة يدمي جلده وجسده ثم يفيق في سكرات موته نادماً حيث لا ينفع الندم ... وليعلم العاصي أنه لن يترك شيئاً لله فيجد فقده أبداً ... بل سيعوضه الله سعادة عظيمة تنسيه كل ما كان يعانيه في البداية لترك المعصية.

٤- إعراض العبد عن دواعي الخير في نفسه: فإنه إذا أدمن المعاصي لا يكاد يفكر في التوبة إلا أن الله الرحيم يبقي في نفسه نوازع خير لحضور الدرس أو خطبة الجمعة أو سماع شريط أحياناً فإذا وجد العبد هذا فليستجب لهذا الداعي فربما حضر الخطبة أو سمع الموعظة فأثرت فيه فكانت بداية هدايته وسبحان الهادي.

والناس في التوبة على أقسام:

فمنهم من يتوب من السيئات والمعاصي ومنهم من يتوب من ترك المستحبات وفعل المكروهات ومنهم من يتوب من فعل خلاف الأولى كالأنبياء والرسل والله المستعان.

ر - **الخوف:** وهو السوط الذي نصبه الله لرد العاصي عن معصيته وهو من أكبر أسباب سهر العبد في الطاعة وقلة نومه وقلة تناوله للشهوات ففي الحديث: «**من خاف أدلج**» أي سار في طاعة الله ليلاً كما يسير نهاراً كناية عن مداومة وملازمة الطاعة ليل نهار وقال بعض السلف: «خوف جهنم أطار النوم من عيني» والخوف بداية الطريق والله أعلم.

أسباب تحقق الخوف في قلب العبد:

١- الخوف من سوء الخاتمة: وقد ذكرنا أسبابها في باب التفكر وهو من أكبر أسباب الخوف إذ الخواتيم مغيبة والنفوس لا تستحق الخير إنما الخير فضل من ربها والله المستعان.

٢- الخوف من النار: ويتحقق ذلك في قلب العبد بالتفكر في عذابها والخلود فيه ثم يتفكر في حال نفسه وأنه قد يموت على غير الإسلام فيفارق أهله وإخوانه المسلمين ويخلد في العذاب عياذاً بالله من هذا.. اللهم أدخلنا الجنة وأجرنا من النار ... اللهم أدخلنا الجنة وأجرنا من النار.. اللهم أدخلنا الجنة وأجرنا من النار ....

٣- الخوف من حبوط العمل: بسبب الرياء أو العجب أو غيرهما من المحبطات فيضيع عمل العبد هباءً منثوراً وما أخوفني علي نفسي وإخواني من قوله عز وجل: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾.

٤- خوف العبد من عدم قبول العمل فإنما يتقبل الله من المتقين وقد قال بعض السلف: «لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة لتمنيت الموت» .. فيا حسرةً على أعمال غير متقبلات .. وأوقات قضيت فيه فصارت ضائعات... إخواني ... لا تركنوا إلى أعمالكم .. فما أدراكم أنها غير حابطات... وأملوا في رحمة الله .. فعنده كل الرحمات.

إخواني .. الأمر جد وخطير .. فأين منكم النفير .. من أجله تصدعت قلوب الصالحين .. فما لكم مطمئنين!!! أوعدتم بدخول الجنات!! أم أنكم مازلتم في الغفلات!!! إخواني أأمنتم سوء الخاتمات!!! أم أنكم تجهلون تلك الحقائق المخوفات ... ادعوا لأنفسكم والمسلمين بالثبات .. وتضرعوا وابتهلوا .. فعسى دعوات أن تكون مستجابات ...

ولكن أنبه على أنه لابد من طريقة الاعتدال فلو وجد العبد في نفسه الخوف بالفعل بحيث يستشعر تماماً الخوف من هذا فليفكر في الرجاء وبالعكس لو رأى في

نفسه الرجاء والاطمئنان ساق نفسه بسوط الخوف ليعتدلا وإلا فالإفراط في تخويف النفس قد يؤدي إلى الاكتئاب والاضطراب النفسي.

فوائد الخوف:

١- سبب لاجتهاد العبد وسعيه في كل عمل صالح ولو كان صغيراً وترك كل سيئة ولو صغرت فهو لا يدري ما الذي ينجيه عند ربه وقد قيل لبعض السلف إلى متى هذا الاجتهاد؟ فقال لعل العمل الذي ينجيني من النار لم أعمله بعد.

٢- يحقق الإخلاص في قلب العبد إذ يجعله طالباً بكل عمل يعمله النجاة من النار وهاهو بعض العلماء يكثر من إلقاء الدروس فيلام فيقول لعل الكلمة التي يرضى الله بها عني لم أقلها بعد ... فها أنا ذا أنصح نفسي وإخواني أن يستحضروا هذا المعنى عند حضورهم كل درس وعند عملهم أي طاعة فعسى أن ينجيهم الله!!

٣- يجعل العبد رقيق القلب سريع الدمع خاشعاً متدبراً فالقلب الخائف رقيق بعكس القلب الآمن.

٤- هو سبب للأمان في الآخرة ففي الحديث: «**يقول الله لا أجمع على عبدي أمنين ولا خوفين فمن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة ومن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة**».

٥- يجعل العبد سريع التوبة من كل معصية عملها فربما جره الإصرار عليها إلى سوء الخاتمة.

٦- هو سبب قلة نوم العبد وبعده عن الشبهات فالقلب الخائف لا مكان فيه للتنعم بالدنيا وهو كذلك أبعد القلوب عن الشبه خشية الوقوع في الحرام.

٧- هو سبب المقامات العليا في الجنة فقد قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾.

ز - **الرجاء**: وهو قائد العبد إلى الشوق والأنس بالله ... وهو سبب المحبة وهو عبادة أولياء الله المقربين فقد قال الله عنهم: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ ولا ينتفع بهذه العبادة القلبية العظيمة إلا من خاف من الله حق مخافته فإذا بالرجاء ينزل على قلبه كالماء البارد للعاطش أما الغافل فليس براج أصلاً إذ لا رجاء إلا مع العمل كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ .

إخواني .. رزقكم ربكم الإسلام وأنتم في ظهر آدم .. فأملوا في رحمته... ألم يغفر للبغي لما سقت الكلاب ... فاسقوا البشر يكن لكم أعظم في الثواب... ألم يسامح من أنظر المعسرين ... فسامحوا إخوانكم تكونوا من الفائزين ... من رد إلى كريم دينار دين ... قبله ولو كان زائفاً ... فارجوه أن يقبل عملكم ... ولو كان الخشوع ناقصاً ... يكفيكم أن يرحمكم يوم القيامة بمقدار رحمة الوالدات ... فكيف وهي رحمة واحدة ويوم القيامة بقية الرحمات ... إخواني العصاة التائبين .. أخبركم أنه سيقلب السيئات حسنات ... وسيثيب الكافر إن أسلم على الطاعات ... فأملوا والله أن تثابوا على ما رآيتم فيه وأعجبتم ... لو كانت منكم توبات صادقات ... المغفرة أسهل عليه من درهم .. فأين النفوس الراجيات!!! رحمته تستوجب الشكر والعمل ... فأين النفوس الواعيات ... ألم تسمعوا قول النبي لأكون عبداً شكوراً ... فأين النفوس المقتديات!!! أعملكم بالرجاء من لو قيل الكل يدخل النار إلا واحداً لقال أنا هذا الناجي ... وأخوفكم من لو قيل كلكم ينجو إلا واحداً لقال أنا في النار ...

ع - **الإخلاص**: هو أن يكون باطن العبد كالظاهر وأكمله أن يكون الباطن خيراً من الظاهر وقيل هو أن يعمل العبد العمل لله لا يريد إلا ثواب الله والناس في هذا على أقسام:

أ - من يعمل العمل خالصاً للناس ولمدحهم فهذا شرك أصغر وإثمه أكبر من الكبائر ففي الحديث: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء**».

ب- من يعمل لله ولمدح الناس معاً فهذا لا ثواب له على الراجح لحديث يقول الله تعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو للذي أشرك به وأنا منه بريء**».

جـ- من يعمل لله وحده ابتداء ثم تأتيه أثناء العمل خواطر الرياء فهذا إن استعاذ وطردها فكأن شيئاً لم يكن فإن استقرت فيه أثيب لأصل النية وكان ثوابه ناقصاً لاستقرار الرياء.

علامات المخلص:

١- لا يفرح بمدح الناس ولا يحزن لذمهم إذ هو يعمل لله لا لهم.

٢- يجتهد في إخفاء طاعته كما يجتهد الناس في إخفاء سيئاتهم إذ العمل لو ظهر فما أقرب الرياء إليه.

٣- لا يشعر لعمله بقيمة يطالب بسببها بالإحسان إليه بعكس المراءي فإنه ربما لو قام ليلة ثم أصبح ليشتري من الخباز لكان لسان حاله يقول للناس ينبغي لكم أن تعظموني فقد قمت الليلة السابقة.

٤- يجتهد في غياب الناس عنه كما يجتهد معهم أما لو كان يعبد الله في غيابهم ولكنه يزيد الطاعة معهم لتشجيعهم له فهذا لا ينافي الإخلاص إنما المقصود من لا يعمل إلا في وجودهم.

٥- إذا اطلع الناس على صالح عمله حزن ولم يفرح بعكس المراءي فإنه يود أن لو اطلع الناس على عمله كهذا الذي يصلي بالليل ويتمنى أن لو اتصل الناس به أثناء صلاته ليقال هو يصلي.

فإن قيل في الحديث سئل رسول الله عن الرجل يعمل العمل فيطلع الناس عليه فيفرح لذلك؟ فقال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»؟ قلت هذا فيمن فرح لإظهار الله الجميل وستره على القبيح فيجعل من هذا دليلاً على أن الله سيعامله هكذا يوم القيامة أو هو محمول على من فرح لوجود السمعة الحسنة الطيبة له بين الناس وهذا أمر فطري فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ أي حباً عند الناس وفي قلوبهم فلولا حب المؤمن لهذا لما امتنن الله عليه به وكذلك في الحديث: «**إذا أحب الله عبداً نادى على جبريل إني أحب فلاناً فأحبه ثم ينادي على الملائكة فتحبه ثم يوضع له القبول في الأرض**» فهذا فرح فطري لا مذمة فيه أما الفرح المذموم فهو أن يفرح باطلاع الناس على عمله لكونه سيمدح بينهم بعد وسينال عندهم المكانة فهذه علامة الرياء والفارق بين الفرح المذموم والفرح الفطري لا يعرفه إلا أهل الإخلاص والعلم، والله المستعان.

٦- أن يقول عن نفسه أنه مراء فمن قال أنا مخلص فقد راءى ومن قال أنا مراء فهو مخلص والمقصود هنا لوم المخلص لنفسه لا الوسوسة المرضية التي تأتي بعض المرض فيشكون في أصل إسلامهم حتى يشك أحدهم هل هو مسلم أم لا؟ فهذا وسواس قهري له علاجه وهو مرض بدني لا دلالة فيه على النقص الديني والله المستعان.

ما يعين العبد على الإخلاص:

١- علمه بأن المنافق يفضح في الدنيا ويوم القيامة ولا تكون له عند الناس مكانة بعكس المخلص وفي الحديث: «**من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به**» أي من فعل العمل ليراه الناس فضحه الله ومن قال ليسمعه الناس ويمدحوه فضحه الله أيضاً.

٢- علمه بأن الإخلاص هو الذي يبقي له الود المباح بين الناس «أعني حب السمعة الطيبة لا حب المدحة منهم» ففي الأثر: «**أوحى الله إلي نبى من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك يخفوا أعمالهم وعلي إظهارها لهم**».

٣- علمه بأن العمل الذي يراءي فيه لا ثواب فيه بل يأثم لرياءه والعياذ بالله.

٤- إذا وجد في نفسه دواعي الرياء ولم يكن العمل واجباً عليه تركه كإمام تأتيه خواطر قوية للإمامة ليسمع الناس حلاوة صوته فليترك الإمامة لغيره طالما وجد من يصلح للإمامة وقد قيل: «إذا كرهت الإمامة فصل بالناس وإن أحببتها فلا تؤمهم» وكذلك من دخل الناس عليه وهو يقرأ القرآن وجاءته خواطر قوية بحب مدحة الناس فليترك القراءة حتى ينصرفوا.

٥- أن يعلم كون من يحسن الصوت لهم أو يجمل موعظته لهم أو يحسن صلاته من أجلهم لا يهتمون بهذا في زماننا فهو زمان غربة لا يكاد أحد يركز في صلاته ولا يكاد الناس ينتبهون لموعظته إلا قلة قليلة فكأن المراءي المسكين يحسن قرآته وخطبته للناس وهم لا يسمعونه ولا ينتبهون لما يقول أصلا والله المستعان.

تنبيهات:

١- ليس من الرياء الحياء من اطلاع الناس على معصية العبد أو تقصيره فالحياء خلق المسلم والمعصية عيب ينبغي التستر منه فليس عيباً أن يستتر العبد لو عصى أو قصر وعن بعض السلف أنه خرج ليصلي فوجد الناس قد صلوا فاستخفى حتى لا يروه ولكن لتكن نيته من ذلك الحياء لا خوف سقوط المنزلة عندهم أو لينو منع الناس من المعصية إذ ربما اغتابه البعض بلسانه أو بقلبه والفارق بين الأمرين كالشعرة بل أقل ولذلك أقول من شك في نيته ووجد خواطره تقول له ماذا سيقول عنك الناس وستسقط منزلتك عندهم أقول له صل في المسجد بعد

انصرافهم لتقطع من قلبك الرياء بل ربما أورثك هذا خجلاً وتواضعاً فلا تتكبر عليهم أما لو كان الفعل معصيةً فلا يجوز إظهارها إذ إظهارها نشر لها وتشجيع عليها فالذي يظهره العبد إذاً هو تقصيره لا معصيته والله أعلم.

٢- ورد في الحديث: «**أن رسول الله مر بأبي موسى وهو يصلي بالليل فوقف يستمع لصوته وكان حسن الصوت فقال له النبي لما أصبح لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة؟ فقال أبو موسى لو أعلم أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً**» فليس معنى هذا أن أبا موسى كان يراءي بقراءته وإنما يقصد أنه كان سيحسن صوته إسعاداً لرسول الله وهذه طاعة أو ليزداد تدبر الرسول فكذلك من أم الناس وحسن صوته ليتدبر الناس القرآن فلا ينافي هذا الإخلاص بعكس من حسنه ليمدحه الناس والفارق بينهما كالشعرة ولذلك أقول أيضاً من شك في نفسه ووجد الخواطر تأتيه بتحسين صوته من أجل مدح الناس وكلامهم فالسلامة لا يعدلها شيء وليقدم للإمامة غيره والله المستعان.

٣- لو طلب العبد العبادة لما يرجوه من سعادة إيمانية أو طلباً لزيادة الرزق مع نية الثواب من الله فلا ينافي هذا الإخلاص بشرط كون المحرك الأساسي طلب مرضاة الله ودليل هذا أنه يعبد ربه وإن لم يجد السعادة وإن لم يبارك له في الرزق فإن كان قد نوى متى زاد الرزق ونال السعادة استمر وإلا فلا فهذا لا إخلاص عنده بل هو ممن يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه.

٤- إذا أتى الشيطان العبد في العبادة وزين له تقصيرها لنظر الناس إليه فلا يعبأ بكلامه وليطول ما شاء فإن طالبه بتطويلها رياءً استعاذ بالله منه وفعل ما يقتضيه حاله ووقته ... فليس من الإخلاص قطع العبادة خوفاً من الرياء إلا لو كانت مستحبة ووجد دواعي الرياء والفرح بمحمدة الناس قوية فليقطعها كما فعل إبراهيم التيمي حيث دخل الناس عليه وهو يقرأ القرآن فقطع القراءة.

٨- الاهتمام بتنقية القلب من المفسدات وهي:

أ - الحقد. ب- الحسد.
جـ- الكبر. د- سوء الظن.
هـ- الأنانية. و- العجب.
ي- الطمع. ن- البخل والشح.
ل- العشق

أ - **الحقد:** وعلامته أن يجد المرء في نفسه غيظاً كلما ذكر عنده المحقود عليه أو كلما سمع عنه الخير أو كلما مدح أمامه.

أسبابه:

١- شعور العبد بنقصه عن المحقود عليه.
٢- سوء الظن بالغير.
٣- وجود التنافس على الدنيا.
٤- إساءة المحقود عليه إلى الحاقد

علاجه:

١- علم العبد بأن الحقد يأكل الحسنات ويفسد دين العبد ففي الحديث: «**فإن فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر وإنما تحلق الدين**».

٢- أن يعود العبد نفسه على حسن الظن بالغير وسيأتي إن شاء الله كيف يتسنى للعبد ذلك.

٤- أن يعلم الحاقد أن التفاضل ليس في أمور الدنيا إنما هو في أمور الدين فإن كان حقده على طالب علم مثله أو عابد مثله فالمعصية أكبر إذ حقده دليل على عدم إخلاصه في عمله فيحبط العمل.

٥- أن يستحيي الحاقد لو علم أخوه بحقده عليه وتواجها يوم القيامة فماذا سيفعل؟

٦- أن يجتهد الحاقد في الدعاء للمحقود عليه كلما أتاه هاجس الحقد إذ الشيطان سيترك الوسوسة بالحقد إذا رأى وسوسته تسبب الخير للحاقد والمحقود عليه.

٧- أن يجتهد الحاقد في إيصال الخير والإحسان إلى المحقود عليه حتى يصير له خلقاً وقد قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾.

٨- أن يستشير الحاقد أهل العلم بالنفوس ليتفهموا سبب الحقد وينصحوه بالطريق المثلى لعلاجه.

٩- أما المحقود عليه فينظر في سبب حقد الحاقد ويحاول علاجه فربما كان السبب لظن الحاقد أن المحقود عليه يتكبر ويتعالى عليه فليتواضع له ليزيل الوحشة بينهما ولو بالمبالغة في ذلك وقس على هذا.

فائدة: نظرة المرء إلى من أساء إليه على أقسام:

١- من يحقد على من أساء إليه ويكن له الضغينة فهذه أسوء حال.

٢- من يحزن ويغضب ويخطئ في حق من أساء إليه في وجهه ليفرغ ما في نفسه ثم بعد ذلك يلوم نفسه على ما فعل فهذا أحسن حالاً من السابق وهو ما قيل فيه «ما في قلبه على لسانه».

٣- يحزن بمقتضى البشرية ولكنه يمحو ذلك من قلبه سريعاً لكمال حلمه وخلقه وهذه أعلى المنازل فإن لم يقدر المرء على هذا الخلق فلا يعجز أن يفرغ ما في قلبه في وجه من أساء إليه ولا يحمل في قلبه حقداً له.

٤- من يحزن فلا يزال يلوم من أساء إليه حتى يجعله يعتذر إليه فيتقبلها بسرعة كأنه كان ينتظر اعتذاره وهذه حال طيبة أيضاً وإن كانت أقل من السابقة.

ب- **الحسد**: وهو تمني زوال النعمة من عند الغير فإن تمنى مثلها مع عدم تمني زوالها من عند الغير فهي الغبطة ولا حرمة فيها وعليها يحمل حديث: «**لا حسد إلا في اثنتين**» أي لا غبطة.

علامته:

أن يجد العبد في نفسه تمنياً لزوال النعمة عن غيره وفرحاً بزوالها أو فرحاً بسماعه الشر عن الغير.

أسبابه:

١- حب الدنيا ومن أجل ذلك يحسد المحبين لها من ينالها.

٢- التنافس على الدنيا.

٣- وربما كان السبب طبيعة النفس السيئة التي تحب زوال الخير عن الناس وتريد لهم الشر.

علاجه:

١- التفكر في عظيم إثمه عند الله لو حسد الناس وحقد عليهم.

٢- الزهد في الدنيا واحتقارها.

٣- العلم بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فلا يلومن الله في قضائه واختياره لتفضيل بعض عباده وقد حسد أعداء الرسل الرسل فقالوا لهم لعلاج حسدهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١].

٤- أن يعلم الحاسد أنه هو المتضرر بحسده ولا يتضرر المحسود شيئاً كما قالوا:

اصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

٥- أن يعلم أن الناس ستمقته وتحتقره وقد قالوا: «الحسود لا يسود».

٦- أن يدعو الله ويتضرع إليه بزوال الحسد عنه وإذا رأى شيئاً قال: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾.

جـ- **الكبر**: وهو تعالي النفس على الغير بما تراه فيها من فضل منزلة أو جاه أو مال أو لتعظيم الناس لها أو ربما لشعور النفس بنقص في أمر ما فتتكبر على الناس لتفقد الشعور بالنقص.

علاماته:

١- عدم قبول المرء لنصح الناس له بل وأسوأ منه من إذا نصح بعيبه ذكر عيب من ينصحه وقال له أسوأ ما يعلم فيه وهذا هو الجهل بعينه إذ النصيحة هدية تقتضي شكراً لا لوماً ويكفي فاعل هذا ذماً قول النبي عنه: «**وإذا خاصم فجر**» أي ذكر في غيره أسوأ فيه وربما ذكر خلاف الحق.

٢- من علاماته كذلك عدم مجالسته للفقراء والمساكين وعدم إجابته لدعوتهم وأنفته أن يرى مخالطاً لهم أو ماشياً معهم.

٣- كذلك من علاماته شعور العبد بالتعاظم وعلو النفس عند ركوب السيارات أو لبس الملابس الفاخرة.

٤- كذلك من علاماته إصرار العبد على الباطل مع علمه بالحق خوفاً من سقوط منزلته عند الجماعة التي يرأسها أو عند من يعظمونه كشيخ.

علاجه:

١- أن يروض المرء نفسه على التواضع حتى يصير له عادة فإنما الخلق بالتخلق.

٢- قهره لنفسه على مجالسة الفقراء ومخالطتهم حتى يتعود على هذا.

٣- أن يتعمد ترك الملبس الحسن ليروض نفسه على التواضع.

٤- لوم نفسه على كراهية النصح وليستحضر الفائدة التي تعود عليه إذا قبل النصح وعمل به وليعلم أنه لو أساء التعامل مع من نصحه لامتنع الناس من نصحه فتبقى معه عيوبه بعكس ما لو قبل النصح بصدر رحب لتشجع الناس على نصحه والله المستعان.

٥- قراءة سير الصالحين وكيف تواضعهم ليتأسى بهم.

٦- دوام التضرع إلى الله بزوال هذا الداء من القلب.

٧- العلم بحقارة النفس وأنها من تراب وتصير إلى تراب لتذل نفسه.

د- **سوء الظن**: وهو أن يحمل المرء أقوال وأفعال إخوانه على غير الخير وقد نهى الله عنه فقال: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

والناس في سوء الظن على أقسام:

١- من تأتيه خواطر قوية بأدلة يغلب على ظنه صدقها كمن ظن في غيره الرياء وتأكد ذلك لديه بما يراه منه من حب للشهرة والسمعة فنقول له اجتهد قدر الطاقة في دفع الخواطر فإن لم تستطع فلا إثم عليك بشرط عدم السعي وراء التحقق من هذا وعن الحسن أنه قال: «لا ينجو أحد من الظن فإذا ظننت فلا تحقق» فيحمل قوله على هذا المعنى وعلى هذا المرء أن يكثر من الدعاء لهذا الذي يسئ الظن به ولا يبن على هذا الظن تصرفاً كهجره مثلاً أو غيره لعدم تأكده بل عليه أن يستغفر ويدعوا له كلما أتته هذه الخواطر.

٢- خواطر قوية تأتي العبد بلا دليل فهذا ما يلام عليه العبد وينبغي أن يجتهد العبد في إزالته وعليه بدوام التضرع إلى الله بزوالها وعليه بالاستغفار لأخيه كذلك.

هـ - **الأنانية**: وهو عيب لدى بعض الناس بسبب ما تربى عليه من حب النفس دون الغير أو بسبب نشأته الانعزالية عن الناس.

علاماتها:

١- أن يرى العبد نفسه محباً لمدح الناس له وتعظيمهم له وذمهم للآخرين فهو يحب أن يكون وحده عند الناس ذا المكانة والوجاهة.

٢- كذلك من علاماتها أن يفعل العبد ما فيه مصلحته هو دون نظر إلى غيره هل يتضرر أم لا؟ فهو لا يعرف إلا مصلحة نفسه.

٣- كذلك من علاماتها أن يكون العبد محباً لخدمة الناس له ليوفر على نفسه الوقت دون نظر إلى غيره هل يضيع وقته أم لا؟.

علاجها:

١- أن يعرف العبد ما في ترك الاهتمام بأمر المسلمين من مغبة وعيب فلو كان من المسلمين حقاً لاهتم بحالهم وشأنهم.

٢- أن يعلم أنه لا يؤمن حتى يحب للناس ما يحبه لنفسه كما صح بذلك الحديث.

٣- أن يعرف ما في خدمة المسلمين من ثواب ففي الحديث: «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**».

وفي آخر: «**خير الناس أنفعهم للناس**» وفي ثالث يقول الرسول ﷺ: «**ولأن أمشي في قضاء حاجة أخي المسلم أحب إلي من اعتكافي في مسجدي هذا شهراً**» [صححه الألباني].

٤- أن يقوم الناس من حوله بعدم تلبية رغباته ليتعود على عدم الأنانية وعلى خدمة نفسه بنفسه.

و- **العجب**: وهو شعور العبد بحسن عمله وحاله وأنه أفضل من غيره.

أسبابه:

١- الجهل بالعلم الشرعي وبآفات النفوس.
٢- حسن الظن بالنفس والرضا عنها.
٣- الجهل بما يستحق الرب من عبادة.
٤- كثرة مدح المحيطين به له واغتراره بمدحهم وقد قيل المدح ذبح.

علاماته:

١- أن يجد العبد في نفسه شعوراً بحسن عمله وأنه ينبغي للناس أن يبجلوه ويحبوه ويعظموه بل ربما قالت له نفسه إذا مت سيقول الناس مات عالم الأمة وعابدها أو الداعية فلان وسيذكرك الجميع بالخير.

٢- كلما صنع شيئاً في السر استعظمه وأحب أن تعرفه الناس ليعرفوا قدره وقيمته حق المعرفة.

٣- أن يجد المرء نفسه تحدثه بفضله وكأن له فضلاً على الدعوة وعلى الناس فتقول له نفسه كم حفظ الناس على يديك القرآن!! وكم تعلم الطلبة منك العلم!!

٤- يشعر بأن الناس كلها على خطأ وأنه وحده على الحق وأن رأيه ومذهبه هو الواجب الاتباع.

٥- استحقاره لغيره فكلما مر بقوم أو حضر درساً رأى نفسه خير الحاضرين.

علاجه:

١- التعلم الشرعي والعلم بآفات النفوس.
٢- أن يعلم بأن العجب سبب لحبوط العمل وغضب الرب سبحانه.
٣- أن يعلم بأن عمله كله آفات ونقص وحق الرب لا يوفيه عبد أبداً.

٤- أن يديم من تفكره في سيئاته وعيوبه فإذا به لا يفرح لمدح الناس ولا يخدع بكلامهم فيه وقد قيل: «من عرف قدر نفسه لم يضره ما قيل فيه» فمثل اللائم لنفسه والناس يمدحونه كرجل رسب في امتحان الدنيا وأخبر الناس بأنه ناجح فإذا بهم يمدحونه ويهنئونه فهل يفرح لمدحهم؟ أم لعلمه بحقيقة الحال لا يفرح؟.

٥- أن يمتنع الناس الجهلة من مدح الغير فالقلوب ضعيفة وما أسهل العجب عليها.

٦- أن يصادق العبد المعجب الإخوة الأفاضل الذين يبينون له عيبه وينصحونه لا من يمدحونه على خطبته أو درسه أو قرآته.

٧- إذا أحس العبد بخاطر العجب في نفسه أذل نفسه لله أمام الناس كما صنع عمر لما خطب الناس فذم نفسه ثم نزل فاستعجب الناس له فقال: «**حدثتني نفسي وقالت أمير المؤمنين بخ بخ فأحببت أن أذلها**»، فمع عدم وجود نقص مشين إذ هو مجرد خاطر نادراً ما كان يأتي عمر إلا أنه رضي الله عنه أراد قطعه بالكلية ليصل إلى مرتبة الصديقية الكبرى كأبي بكر.

تنبيه: إذا وجد العبد في نفسه عجباً زائداً بعمله ومراعاةً لمدح الناس له فليظهر عيبه وخطأه فلو فاتته جماعة أو تكبيره الإحرام أو صيام نفل أظهر ذلك للناس لتسقط منزلته عند الناس وليمحو من قلبه هذا الأمر بعكس من لا يجد العجب في نفسه ولا يهتم بكلام الناس فإخفاء ذلك أولى به والله أعلم.

ي - الطمع: وعلامته حب العبد لأن يكون ممتلكاً لأحسن الأشياء دون غيره فهو يرغب في تملك أفضل الأشياء فيتمنى أن لو تزوج أجمل امرأة أو امتلك أفخم سيارة وأحسن شقة.

- بل ربما لو وجد عند غيره شيئاً حسناً لقارنه بما عنده فيقارن زوجته بزوجات الآخرين وشقته بشقق الآخرين رغبة منه أن يكون ممتلكاً لأفضل شيء.

علاجه:

١- الزهد في الدنيا وما في أيدي الناس.

٢- أن يقنع العبد بما آتاه الله وليعلم أنه لو رضي به لجعله الله في عينه أفضل شئ بل ربما كانت الحقيقة كون ما عنده أفضل مما عند غيره ولكن الشيطان يطمعه ويزين له ما عند الآخرين.

ن - **البخل والشح**: والناس في هذا على أقسام:

١- من يبخل على نفسه في أمور الدنيا من ملبس وغيره وفي أمور الآخرة من صدقة وغيرها وهذه أسوأ الأحوال وفي الحديث: «**وأي داء أدوأ من البخل**» رواه مسلم.

٢- من تجود نفسه بأمور الدنيا والآخرة معاً فهو يشتري لنفسه الملبس الحسن الثمين ويحج ويتصدق ويعتمر فهذا أفضل من السابق بكثير.

٣- من تجود نفسه بأمور الآخرة ويقتصد في الدنيا فلا ينفق في أمور الدنيا إلا فيما يحتاجه هو ومن يعول دون تقتير ولكنه في أمور الآخرة يجود بكل ما يملك فهو يرى من الغبن أن يأكل أحسن المأكل ويشرب أفضل المشارب ولا يتصدق بهذه الأموال فهذا إن شاء الله أفضل الثلاثة بشرط عدم إخلاله بالمروءات والنفقات اللازمة.

علاج البخل:

١- أن يقرأ البخيل ما ورد في ذمه من أخبار وقصص.

٢- أن يجبر العبد نفسه ابتداءً على الجود حتى يصير له خلقاً.

٣- أن يتضرع العبد إلى الله بزوال هذا العيب.

٤- أن يعلم العبد بأن الصدقة لا تنقص المال كما صح في الحديث: «**ما نقص مال من صدقه**».

٥- أن يعلم العبد بإمكانية زوال المال في أي وقت وربما احتاج إلى مال فإذا أراد أن يجود الناس عليه فليجد هو الآن عليهم.

٦- مخالطة العبد لأهل الكرم والسخاء وقرآته لسيرهم فهو من أكبر أسباب الجود.

ل - **العشق**: وهو الداء العضال أعاذنا الله والمسلمين منه وهو تعلق القلب بالغير لجمال صوت أو جمال صورة أو جمال خلق سواء كان الغير رجالاً أو نساءً.

علامته:

شعور النفس بالضيق الشديد لفقدان رؤية المعشوق حتى أنها لا تكاد تستطيع العبادة.

حالاته:

١- أن يحدث بسبب مباح كعشق الرجل زوجته والعكس فهذا غير محرم فإذا حدث أن انفصلا فعلى الناس أن يشفعوا إلى الطرف الآخر بالرجوع إلى عشيقه فقد شفع رسول الله ﷺ يشفع إلى بريرة لترجع إلى زوجها الذي عشقها وانفصلا فإن لم يحدث ذلك فعلى العاشق أن يترك أماكن تواجد المعشوق بل على المعشوق أن يترك أماكن تواجد العاشق إذ قد يشق على العاشق أن يترك هو أماكن المعشوق.

تنبيه: وصول الزوج أو الزوجة لدرجة العشق مباح ولكنه نقص كمال إذ القلب الكامل لا يتعلق بغير الله والله المستعان.

٢- أن يحدث العشق بسبب محرم كإدمان نظر أو إدامة فكر وغيره فهذا حرام.

علاجه:

يشق جداً علاجه ولكنه سهل يسير بإذن الله وإنما شق علاجه لأنه من وصل إلى هذه الحال قد صار خالي البال من التعلق بالله فارغ النفس عن الشغل بالله

فيشق عليه ترك العشق ولكنه ما من داء إلا وله دواء ويتلخص علاج العشق في الوسائل الآتية :

١- إقناع العاشق نفسه بحرمة ما فعل إذ العشق شرك أصغر قد يؤدي إلى الشرك الأكبر لما فيه من التعلق بغير الله وربما كان لسان حاله ينادي بحبه لرضا المعشوق أكثر من رضا الله والعياذ بالله.

٢- طلب العاشق الجازم والحقيقي لشفاءه من هذا الداء أما من لم يرد ترك العشق فكيف يشفى منه.

٣- تزوج العاشق إن أمكن إذ عند المرأة كل ما يطلبه العاشق من معشوقه وقد قيل : «ما رؤي للعاشق مثل الزواج».

٤- التضرع إلى الله واللجوء إليه بزوال هذا الداء العضال من القلب فالمضطر لا ترد دعوته.

٥- شغل العاشق لنفسه بما هو نافع في دينه ودنياه لينسى المعشوق.

٦- سعي المعشوق بكل ممكن لييأس العاشق من رؤيته ثانية أو سماع صوته بل عليه أن يترك التواجد في أماكن وجود العاشق بالكلية.

٧- سؤال العاشق لأهل العلم عما ينبغي عمله لزوال هذا الداء بل ليسأل المعشوق كذلك فنادراً ما يحاول عاشق إزالة هذا الداء عنه بعكس المعشوق فهو يريد تخلص نفسه من تعلق العاشق به.

موعظة في الآفات :

إخواني ... إياكم وفساد ذات البين ... ففيها كبائر بغير مين ... ألم يقل الرسول : «**هجر المسلم سنة كقتله**» ... فأين منكم بكاء العين ... أيحقد أحدكم على أخيه ... ونحن في وقت غربة الدين؟؟؟ عجباً والله وأنتم ترون قلة الملتزمين!! ماذا تركتم لأهل الدنيا والمفسدين؟! توبوا إلى الله ... تصافوا... تحابوا ... عسى أن

تكونوا إخواناً على سرر متقابلين ... طوبى لمن بادر أخاه بالصلح فهو الخيِّر ... وبئس لمن أعرض فهو العاصي المهين ....

إخواني ... ما هذه الدنيا التي تتحاسدون عليها ... ألم يحذركم الله من الركون إليها؟! ما لكم تكرهون الخير للناس؟!... وتحبون لهم الشر وشدة الباس ... أين من كان يضحي من أجل إخوانه بالمطعم واللباس؟ ... الحاسد مهين لا يسود ... فمن هذب نفسه كان أقوى من الأسود ... أتحسدون الكافر على الدنيا وهو إلى النار صائر؟؟ أم تحسدون المؤمن الغني وماله بين الفقراء دائر؟! أتتمنون زوال النعمة عن الفقراء ... أم تكرهون ما قدره رب الأغنياء؟؟ ... أليس هو الذي أغنى هذا وأفقر ذاك؟؟ من حسد بعد كلامي هذا ... كان والله من الأغبياء ...

إخواني .. مالكم تعجبون بأعمالكم وهي منة الله ... بل هي والله قليلة ... فأين من هو كالصديق الأواه؟؟ .. وكان والله يخاف حبوط العمل .. فتباً للمعجبين العصاة ... أترون أنفسكم خير الناس .. ما هذه بتقاة .. أتمنون على الدعوة والناس؟؟ ... هكذا فعل الطغاة ... لا تعجبوا بمدح المداحين .. فهم لفسادكم سعاة .. وإذا واجهوكم بالمدح ... فاحثوا التراب في الأفواه.

إخواني .. ألم تسمعوا بحبوط عمل المعجبين؟؟ .. فلا تكونوا بأعمالكم مدلين «معجبين» ... أذلوا أنفسكم لله .. فما أحبه للمتواضعين .. وأخلصوا العمل لله ... فما ينجو غير المخلصين .. تزودوا من العلوم أكثر ... تدركوا كونكم جاهلين ... واقرأوا كتاب الحلية .. توقنوا ما كنتم متعبدين ... واسألوا عن مشايخ الدعوة ... تقولوا ما كنا داعيين... فطوبى لمن قبل النصح ... وخاب من كان من المعرضين ... لا تتكبروا فأولكم نطفة مذرة .. وآخركم جيفة قذرة .. وتحملون في بطونكم العذرة... ليس المال مالكم ... فبم تتكبرون؟! ... والمتقي خير منكم... أفلا تعقلون!! كم من كبير السلطان جسيم .. وله في الآخرة عذاب عظيم .. لا يدخل الجنة متكبر ... هكذا في الآثار .. فبئس لغني دخل النار ... من كان في الحق ذنب ...

خير ممن صار في الباطل رأساً... فاقبلوا الحق .. يزدكم الله عزاً ... طوبى لمن قبل نصح الناس وقال نعمت الهدية .. وخاب عبد رفض وأخذته الحمية .. انظروا كيف رضي أن لو قابل الله بعيبه ... ورضي أن لو عير يوم القيامة بسببه!!

إخواني ... إياكم وسوء الظن بالمسلمين ... فهو إثم هكذا في الكتاب الكريم ... أتظنون الشر بسبب كلمات وأفعال محتملات!! والله لو شغلتم بعيوبكم لحسنت منكم الاعتقادات ... عجباً لكم تسيئون الظن باحتمال بعيد.. أما سمعتم بمن شتمه أخوه فقال أعلم أنك لا تريد!!! إخواني ... طوبى لعبد لا طمع عنده ... بل يود أن لو كان للناس ما عنده... يرضى لنفسه بالقليل ويحب لإخوانه الكثير ... فكم من غني بالطمع فقير!! فلا تتنافسوا على الدنيا ... فقد لعنها الله والرسول ... ولا تتخذوها وطناً ... بل اجعلوها سلماً للوصول ... نفوسكم طماعة ... فعودها القناعة ... وشوقوها إلى الجنة ... إن كانت طلاعة ... إخواني... ربكم كريم فأين المقتدون؟؟ .. والبخل أدوأ داء فأين المحجمون؟؟ أما قرأتم عن الأسخياء؟؟ فلم ترضون بالدون؟! عجباً لكم تبخلون بالواجب ... فأين المؤثرون؟؟ تجمعون المال لأولادكم وعنه ستسألون ... فطوبى لمن قدم لنفسه صدقات وخاب الكانزون ... أما تستحون من الله؟؟ يجود حاتم وقوم كافرون ... ثم تبخلون وأنتم المسلمون!! أنتم عار على المسلمين فيا ليتكم تتعظون.



الفصل الثالث:

أنواع السالكين لطريق تهذيب النفس:

بعد عرض أساسيات الطريق نختم الكتاب بذكر أنواع السالكين فلا أعلم أحداً وصل إلى معرفة الله بغير طريق من طرق أربعة والله أعلى وأعلم وهذه الطرق هي:

أ - طريق العلم. ب- طريق العبادة.

جـ - طريق الدعوة.

د - طريق سلامة النفس والصدر وحسن الخلق.

أ - طريق العلم:

وهو أن يتفرغ السالك لدراسة العلم وتدريسه وقرآته وتحصيله ولكن لا ينسى الالتزام بأساسيات الطريق ولو بأخذ الحد الأدنى من كل شيء.

وهو أفضل الطرق وأحسنها لأسباب منها:

- أنه ينال ما عند كل فريق من خير فهو يدعوا إلى الله بعلمه وإلقائه للدروس ويتعبد لله بما يتعلم من مسائل وأنواع من العبادات لا يعلمها غيره فكم من سنة لا يطلع عليها إلا العلماء كسنة صلاة ركعتين عند دخول البيت والخروج منه ثم له فضل العلم على الآخرين.
- أن الرسول اختار لنا الأفضل فقال: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**».
- أن لذة العلم تنال بسرعة فيسهل على طالبه المواصلة في الطريق بعكس لذة العبادة فقد تأتي بعد حين.

• العالم وطالب العلم لا يكادان يصيبهما الكسل والفتور لأن لذة العلم لها أسباب كثيرة كطلب الشهرة فهذا وإن كان خطئاً إلا أنه من أسباب تشجيع طالب العلم على استمرار طلبه ثم بعد ذلك يهذبه العلم إن شاء الله وقد قال بعض السلف: «طلبت العلم لغير الله فأبى إلا أن يكون لله» وفي الحديث: «**منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال**».

• حاجة الأمة إلى العلماء أكبر وأكثر من حاجتهم إلى العباد.

• طريق العلم أيسر إن شاء الله في ظل هذه الحياة المادية خاصة مع كثرة المشاغل التي قد تعوق طريق العبادة نوعاً ما والله أعلم وهو المستعان.

تنبيه: ليس معنى تفضيل طريق العلم أن طالب العلم خير من العابد أو الداعية أو حسن الخلق فأفضل الأربعة هو أصلحهم قلباً وأتقاهم لله فهذا أويس القرني يخبر النبي بكونه أفضل التابعين مع كونه ليس أعلمهم قطعاً ـ نعم ـ كثيراً ما يكون طالب العلم أفضل الأربعة لحديث: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**» ولكن قد يتخلف هذا أحياناً.

فإذا عزم السالك على بدء طريق العلم فليحذر من آفات قد تعرض له وهي:

١- أن يشغل بالعلم عن الواجبات كصلة الرحم وصلاة الفجر أو عن المستحبات كقيام الليل وصلاة النوافل والأذكار.

٢- أن يعجب طالب العلم ويظن نفسه خيراً من العابد والداعية وينظر إليهم على أنهم جهال.

٣- أن يهمل جوانب الدعوة والعبادة والاهتمام بسلامة الصدر فإنها أساسيات.

٤- أن يكون غرضه من العلم المباهاة والمفاخرة ومدح الناس له.

علاج هذه الآفات:

١- أن يعلم هذا الطالب أنه إن لم يعمل بالعلم فكأنه لم يحصل شيئاً بل ربما قيض الله له ما يضيع وقته من نوم أو أكل أو غيرهما.

٢- أن يعلم كذلك بأن صلة الرحم تبارك في العمر والوقت وكذلك العمل الصالح فما يقضيه من أوقات في هذه الواجبات والمستحبات إنما هو زيادة في عمره الذي يتعلم فيه.

٣- أن يعلم هذا الطالب بأن ازدراء الآخرين جريمة كبرى تحبط العمل وليس معنى كون طريقه هو الأفضل أن يكون طالب العلم أفضل من العابد بل التفاضل عند الله بما في القلوب.

٤- أن يضرب بسهم في كل طريق لأن الإنسان عدو ما يجهل.

تنبيهات لطالب العلم:

١- خطوط العلم الرئيسية أربعة لا تنقطع حتى يموت العبد وهي: الفقه، التوحيد، التفسير، الحديث فكلما قرأ العبد كتاباً في الفقه أو الحديث أو التفسير أو التوحيد وانتهى منه قرأ آخر وهكذا أبداً ولكن عليه بتقديم الواجب من علوم الفقه والتوحيد حتى ينتهي من الواجب ثم يدرس المستحب.

٢- من الفقه الاهتمام بالعلم المخدوم أكثر من الخادم فليس من الفقه الانشغال بعلم الأصول والمصطلح والمرء جاهل بواجبات التوحيد والفقه.

٣- لابد من تلقي العلم على أيدي المشايخ وأحسن ما يكون في الفقه شرائط الشيخ أحمد حطيبه لشرح منار السبيل وشرائط الشيخ ياسر لشرح كتب التوحيد التالية «منة الرحمن، فضل الغني الحميد، فتح المجيد، معارج القبول».

٤- على طالب العلم استشارة العلماء والمشايخ قبل البدء في قراءة الكتب لينصحوه بما فيها من أخطاء بل ليختاروا له الأفضل من الكتب.

٥- من الهام تكرار سماع العلم ودراسته خاصة شرائط فقه منار السبيل فسماعها أكثر من مرة يثبت المعلومة وأما شرائط التوحيد فالكتب التي ذكرتها تعاد فيها المعلومة كثيراً جداً فيسهل حفظها وعدم نسيانها.

٦- لابد من كتابة العلم وراء المشايخ كما قالوا: «العلم صيد والكتابة قيده».

ب - طريق العبادة:

وهو أن يتفرغ المرء للعبادات والأوراد والأذكار فهذا طريق طيب موصل إلى الله لكن لابد من تحصيل العلم الواجب من الفقه والتوحيد وليحذر سالك هذا الطريق من عدة آفات قد تعرض له وهي:

١- ربما احتقر العابد غيره وقال طالب العلم يطلب الظاهر وأنا أطلب الباطن.

٢- ربما ترك العابد تعلم الواجب من التوحيد والفقه فيجهل عقيدة القضاء والقدر وكيفية الوضوء وغيرها من الواجبات.

٣- ربما راءى العابد أو سمع بعبادته لينال مدح الناس.

علاج هذه الآفات:

١- أن يعلم العابد أنه إن لم يحصل العلم الواجب وقع في البدع وصارت عبادته مأثماً.

٢- أن يعلم العابد بأن الدين يقوم بالعلم فنفع العلم خير من نفع العبادة فعبادته قاصرة على نفسه ونفع العلم متعدي فلا يحقرن من شأن العلم.

٣- أن يحذر من الرياء والسمعة وليراقب نفسه دوماً حذراً عليها من العجب.

جـ - طريق الدعوة:

وفيه يهتم السالك بتعليم الناس ما علمه من خير ولو كان قليلاً وبتحفيظ الناس القرآن وبالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر وبالجهاد في سبيل الله لنشر

مبادئ الدين فهو يبغي الخير للناس فهذا طريق عظيم النفع ولكن ليحذر السالك فيه من بعض الآفات التي قد تعرض له وهي :

١ - نسيان الاهتمام بإصلاح النفس بالعلم والعمل الواجبين والمستحبين.

٢ - تضييع الداعية لوقته فيما لا ينفع بحجة دعوة الناس وتحبيبهم في الدين.

علاج هذه الآفات :

١ - استحضار قول النبي : «**لا يكن أحدكم كالشمعه يضئ للناس ويحرق نفسه**».

٢- أن يعلم بأن قبول دعوته متوقف على حاله مع الله فكم رأينا من عباد وعلماء نجحوا في دعوتهم بعكس الداعية الجاهل الكسول عن العبادة.

٣- أن يحافظ الداعية على وقته وليعلم بأن حرصه على وقته أمام المدعو سيزيد من مكانته وصورته في قلبه فيقتدي به المدعو أكثر بعكس ما لو قلت هيبته وأضاع وقته لسقط من أعين المدعوين.

٤- أن يعلم الداعية بأن المدعو سينطبع على صورته هو فلو رآه يحب العلم لنشأ مثله ولو رآه يحب العبادة لنشأ مثله ولو وجده غافلاً لنشأ مثله.

تنبيه: هذه الطرق ليست متعارضة فلو استطاع المرء أن يكون إماماً وقدوةً في كل طريق فليفعل فهذا أفضل المنازل فإن لم يستطع فعليه بالحد الأدنى من كل طريق وليبرز فيما يحبه ويشعر بأنه سيتفوق فيه فليس معنى تفضيل طريق العلم أن يلزم العبد نفسه به وهو لا يرى نفسه أهلاً لهذه المنزلة فإن كان العبد لا يرى نفسه مبرزاً في أمر ما فليبدء بطريق العلم ولا ييأس فهاهو الطحاوي يدرس المذهب الشافعي على يد عمه المزني فلا يفلح فقال له المزني : «**والله لا تفلح**» فغضب الطحاوي ودرس المذهب الحنفي حتى صار إماماً فيه فإن حاول العبد ورأى أنه لا

سبيل للتفوق في العلم فعليه بطريق الدعوة فهو أنفع من طريق العبادة فإن لم يستطع فعليه بطريق العبادة والله الموفق للخير.

د - طريق سلامة النفس والصدر وحسن الخلق:

وهو طريق من طرق الوصول إلى معرفة الله وقد قال عنه عبد الله بن عمرو: «**وهي التي لا نطيق**» رواه مسلم وفي الحديث: «**إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم**» وفي آخر: «**ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً أحاسنكم أخلاقاً**» فصاحب هذا الطريق يحتمل أذى الناس ويصبر على إساءتهم ويحسن إليهم لا غل عنده ولا حقد ولا حسد ومعه أساسيات الطريق كما قدمنا، فهو حليم لا يغضب ورفيق يتأنى في أمره يحب الخير للناس ويحب لهم ما يحب لنفسه ويتألم لألمهم ويفرح لفرحهم يؤثرهم على نفسه ويبذل ماله ووقته من أجل إسعادهم ... يقابل الإساءة بالإحسان ويعفو ويصفح ... لين سهل قريب لا يتكبر على الناس بل يتواضع لهم ... قريب من الفقراء والمساكين... ويحسن إلى اليتامى ... قلبه أبيض لا يعرف البغض ولا الضغينة ... يرى للناس عليه الحق ولا يرى لنفسه عليهم حقاً ... لا يخاصم ولا يشاتم ... سهل إذا باع وسهل إذا اشترى وسهل إذا اقتضى... ينظر المعسر ويتصدق على الأرامل ... يعطف على الحيوان ... لا يعرف الأذى ولا الإضرار ... إذا عاشره أحد احتقر عبادته ... ولا يعلم ما في قلبه من النور الذي يعجز عنه كثير من العباد ... لا يغلظ على العصاة بل يرفق بهم حتى يعلمهم ... يؤدي للناس الذي لهم منه ... ولا يسألهم ماله منهم ... نقي القلب تقي الصدر ... خفي في الأرض معلوم في السماء ينسى ما أسدى للناس من خير ... ويتذكر ما أسدوه إليه من خير... يحسن إلى الخلق دون أن يعلمهم بذلك... ولا يعد ما عمله شيئاً... لا منة عنده ولا أذى ... سمي النفس ... وقور العقل ... لا طيش عنده ولا عجلة ... إذا رأى أخاه على معصية ... حزن من أجله.. ودعا لنفسه وللمسلمين بالمعافاة ... ولم يفرح ولم يشمت فيه ... يتمنى أن

لو التزم الناس جميعاً بمنهج الله ... ولو كان على سبيل راحته وسعادته... لا ينافس الناس على الدنيا ... ولا يتعلق بها ... فهو في الدنيا كغريب أو عابر سبيل ... إذا رأى من صام في يوم إفطاره ... قال حمداً لله فعسى أن ترحم الأمة بصيامه ... وإذا رأى من قام عند منامه ... قال عسى أن يدعوا بالليل لإخوانه ... لا يريد أن ينفرد عن الناس بخير ... فحاله كحال ابن واسع إذ قال لابنه عند إفطاره ائتني بماء كي تنال ثواب صيامي... ليس همه أن ينفرد عن الناس بالعبادات ... بل همه أن توجد الطاعات وتموت السيئات.. لو صام وأفطر الناس دعا للجميع بالإثابة عند إفطاره ... ولو قام والناس نائمون دعا بالثواب للجميع عند أسحاره ... لو رأى أصغر منه قال عصيت الله قبله فهو خير مني ... ولو رأى أكبر منه... قال أطاع الله قبلي فهو خير مني ... لسان حاله يقول ما نزل بالمسلمين بلاء إلا بسببي ... فلو مت لاستراح الناس ... إن عيره أحد بعيبه ... لم يعيره هو بعيبه ... بل قال له صدقت وما في أكثر مما قلت... فإن اعتذر له العائب بعد ... قال له قد غفرت لك ساعة عيرتني وشتمتني ... لو شتمه شاتم من إخوانه ... لقال أعلم أنك لا تقصد ... يلتمس المعاذير ... ويستر القبائح ... لا يسأل الناس شيئاً من أمور الدنيا بل لا يسألهم أن يعملوا له عملاً ... ويعمل لهم ما يريدون دون طلب ... وإذا كان في عمل الآخرة طلب منهم مساعدته ... لينالوا الثواب مثله...

حكمة الله في تنوع الطرق:

١ - أن الوصول يحتاج إلى صبر وبصيرة وكثير من الناس على غير هذه الصفة فجعل سبحانه طريق الوصول طويلاً نوعاً ما ليعلم الواصل كيف وصل فيبين لضعاف الصبر والبصيرة ليكونوا على بينة من البداية ثم ألهم سبحانه من يسلك إحدى هذه الطرق التفرغ التام له ليعرف الحقائق التي لا تعرف إلا بطول ممارسة فيعلم بعضهم بعضاً فكل سالك يتفرغ لطريقه ليعرف الحقائق ويهديها إلى أخيه سهلة ميسرة.

٢- أن السالك لطريق يجد في نفسه غالباً حباً شديداً لما هو فيه فلا يكاد يريد تركه إلى غيره فجعل سبحانه الواجب على العبد الحد الأدنى من كل طريق فيجب على الجميع تعلم الواجب ويجب على الجميع العبادة الواجبة ويجب على الجميع الدعوة الواجبة من تغيير المنكر والأمر بالمعروف ويجب على الجميع حسن الخلق الواجب من ترك الحقد والحسد وغيره بل لا يصل أحدهم إلا بنيله من المستحبات نيلاً حسناً مناسباً له وذلك ليتميز من سلك في الطريق لهوى النفس وإرادتها فلا يكاد يترك ما تفرغ له ممن سلكه لله فهو يعمل ما يحبه ربه وإن كان في خلاف ما تعلق به فهو يقوم الليل مع أن حبه للعلم قد يدعوه لترك القيام من أجل طلبه للعلم فالسالك الحق هو الذي يطلب رضا ربه لا حظ نفسه والله المستعان.

٣- أن السالك لطريق من هذه الطرق قد يجد الملل والفتور أحياناً فنوعت له طرق الوصول ليسلك عند فتوره أي طريق شاء وليتفرغ وقت نشاطه لما برز فيه.

٤- لأن العبد ربما لو تفرغ للطريق وكان الطريق واحداً ربما أصيب بالعجب فلما تنوعت الطرق ووجد في كل واحد منها بارزون صار كل سالك يلوم نفسه على تقصيرها في الطرق الأخرى فبدلاً من عجبه إذا به يشتاق فهذا ابن الجوزي يقول: «واأسفاه ... والهفتاه على قيام معروف وصيامه» فانظر إلى هذا الحبر الفذ كيف تأسف على العبادة مع بروزه في العلم ونيله من العبادة حظاً وافراً والله المستعان.

٥- أن التفوق والنبوغ لا يأتي إلا بعد طول فترة وليست قدرات الناس ومحابهم واحدة فنوع الله الطرق ليتفرغ كل فريق لما يجد فيه نبوغه فتنشأ المواهب ... فهل عرفت الأمم مثل زهد ابن حنبل؟؟ أم هل عرفت مثل ورع الحافي ومعروف؟ أم هل فيها مثل سخاء ابن المبارك؟ أم هل عرفت مثل فقه أبي حنيفة؟ أم هل فيها مثل عبادة الجنيد؟ أم هل فيها مثل رضا شيخ الإسلام؟ أم هل فيها مثل خوف سفيان؟؟ أم هل فيها كوعظ ابن الجوزي وابن رجب الحنبلي؟

٦- ليكون اختباراً للعبد إذا رأى غيره تفوق فيما لم يتفوق فيه فهل سيدعوا له بالتوفيق لينفع المسلمين فيكون السالك حقاً أم سيحتقر عمله ويقول طريقي خير من طريقه فيكون هو الجاهل حقاً؟ فسبحان الحكيم الخبير .... وعند الاختبار يتميز الأعمى من البصير ...

وأخيراً: أقول ينبغي لكل واحد من سالكي هذه الطرق أن يجتهد ويبذل قصارى جهده فيما يشتاق إليه ويحبه ولا يقاوم رغبات نفسه أعني لو طالبته نفسه بطريق العلم سلكه ولو طالبته بطريق العمل سلكه وتفرغ له إلا في ما لابد من تحصيله من بقية الطرق والله المستعان.

موعظة لسالكي هذه الطرق:

إخواني طلبة العلم ... علموا العوام الأحاديث الشريفات ... وفسروا لهم الآيات ... علموهم الواجب من الفقه والعقائد الواجبات ... ابذلوا الجهد في المسائل المفيدة ... واتركوا المسائل الميتات .... انووا بعلمكم تعلم الأعمال المنجيات[1] ... وإنقاذ البشر من الظلمات ... إن فعلتم فتلك مهنة أصحاب الرسالات ... من طلب منكم العلم فلا ينسى التعبد ففيه الفهوم... طالب لا يصلي بالليل علمه لا يقوم ... هكذا قال الحبر ابن حنبل لطالب علم منهوم[2] ... من أراد علم الأولين والآخرين ... فعليه بتدبر كتاب رب العالمين.

إخواني ... أتذكرون للناس السنة ولستم بها عاملين ... شابهتم والله الجاهلين ... وإياكم وحب الشهرة ... تكونوا من المفلحين ... ليس العلم عن كثرة

---

(١) أعني ما ورد عن بعض السلف أنه سئل إلى متى تطلب العلم؟ فقال لعل العمل الذي ينجيني من النار لم أعمله بعد.

(٢) أعني ما ورد عن الإمام أحمد أنه استضاف طالب علم ووضع له الماء ليلاً فلما رأى الماء الفجر كما هو قال سبحان الله طالب علم لا يقوم الليل؟.

المسائل ... إنما هو بخشية رب العالمين ... من استعصت عليه مسائل عنيد ... فعليه بالدعوة يلن له الحديد ...

إخواني ... لا يكن أحدكم كالشمعة يضئ للناس ويحرق نفسه ... من كان هكذا فقد نفع الناس وحرم نفسه ... العلم يهتف بالعمل ... فإن أجابه وإلا ارتحل ... من أراد منكم أن يكون من المقبولين ... فعليه أن يكون من العاملين[١] .... جامع علم بلا عمل كآكل وليس بشابع ... أو ضارب بسهم مكسور ليس بناجع ... احضروا دروس المشايخ فهم يتكلمون بنور الله.... واقتدوا بسيرهم فهي موعظة من الله.

إخواني ... من أقام على طلب العلم مخلصاً ليلاً ونهاراً ... صار قلبه كالأرض الخصبة يكفيه قليل العبادة ولا يحتاج أنهاراً ... طلب العلم لنفع الناس[٢] ... أكبر مصلح للنفوس العاليات ... فلا تضيعوا بركته بترك المستحبات ... واحذروا الكبر والعجب والآفات.

إخواني العباد .... من أراد منكم العبادة ... فكيف يجهل فقه العبادة؟؟ كيف تصلون؟؟ ... وأركان الصلاة لا تعلمون ... بل كيف تضحون؟؟ وشروط الأضحية لا تعلمون ...

إخواني ... إذا رزقتم معارف في العبادات ... فعلموها لطلبة العلم نظير ما يعطونكم من المعلومات ... واحذروا العجب والغرور ... فهما أعظم الآفات ... من حقر منكم شأن العلم ... فليس من المتعبدين ... ومن حقر شأن العبادة ... فليس والله من العالمين ...

---

(١) أعني ما ورد عن بعض السلف أنه سئل إلى متى تطلب العلم؟ فقال لعل العمل الذي ينجيني من النار لم أعمله بعد.

(٢) أعني أنه من أحسن النوايا وأفضلها أن ينوي طالب العلم بتعلمه للعلم أن يعلم الناس الخير ويحثهم عليه.

إخواني ... الصلاة والصيام لكم كالماء والهواء ... وفي الذكر والفكر أعظم شفاء ... أكثروا بالليل من السجدات ... وبالنهار من التسبيحات ... ولا تضيعوا الأوقات ...

إخواني الدعاة ... فيكم أنزل ومن أحسن ممن دعا ... فطوبى لمن طبق ووعى ... من دعا منكم وهو من الجاهلين ... فما دعا بل صد عن الدين... ومن ترك منكم العبادة ... فقد استجابة المدعوين ... أتريدون الناس مثلكم متكاسلين ... ادعوا بالليل للمدعوين ... عسى أن يهديهم رب العالمين ...

إخواني ... حفظوا الناس القرآن ... وكونوا مع المجاهدين ... فتلك والله مهمة المرسلين ... من بذل وقته لخدمة الدين ... رزقه الله معارف العابدين ... إن لم تصلوا بالسحر ... ففي أي وقت تطلبون التمكين ... اكسبوا الناس بأخلاقكم ... وطوبى للعاملين ... إن زاد الفساد فلنقص إيمانكم ... وإن دعوتم إلى البدع أغضبتم ربكم ...

إخواني ... خيركم من تعلم القرآن وعلمه ... فطوبى لمن عمل به وفهمه... من أقام منكم على تحفيظ القرآن ... عامله الله بأعظم الإحسان... ومن صار همه صلاح البشرية .... أعطاه الله أعظم عطية... ومن سهر منكم يفكر للدعوة ... بات ونفسه عند ربه مرضية..

إخواني أصحاب الصدور السليمة ... ادعوا الله لإخوانكم الدعاة ... أن يهدي الله على أيديهم العاصين والعاصيات ... وادعوا للعلماء أن يحفظهم الله ... فهم للأمة كالمصابيح المضيئات ... وادعوا للعباد ... أن يلهمهم الله الثبات ... ولا تتركوا الواجب من العلوم الشرعيات ... ولا الحد الأدنى من العبادات ... وأخلصوا لله النيات ... ليس الخلق القويم أن تحسنوا للمحسنين ... إنما الخلق أن تحسنوا للمسيئين ... طوبى لمن كظم غيظه منكم ... بل القوي والله من لم يكن من الغاضبين.

إخواني ... لا يغترن عالم ... فأين هو من علم سالم .. ولا يعجبن عابد.. فأين هو من معروف الهاجد .. ولا يمنن داعية .. فالله هو الهادي وليست نفسه الهادية ...

إخواني ... على أكتافكم ألقيت أعباء الدين ... فكونوا جميعاً متكاملين... وليكن هدفكم جميعاً ... رضا الرب وحصول التمكين.

تنبيهات:

١- الأحاديث المذكورة في هذا الكتاب صححها الألباني أو حسنها فهي كلها محتج بها ولله الحمد.

٢- ليست هذه المواعظ ولا هذا الكتاب لمص الشفاه إعجاباً وإنما هو للفهم والتطبيق فأنصح كل قارئ أن يقرأ الكتاب على مهل فكل كلمة مقصودة المعنى والله المستعان.

٣- هذا الكتاب كتاب عُمُر يحتاجه المسلم على مدى حياته فالأعمال القلبية والمعاني الإيمانية يحتاج المسلم تذكرها ومراجعتها على الدوام ولذا أنصح كل قارئ له بإعادت قرآته بين الحين والآخر ليراجع نفسه ويهذبها والله الموفق.



الفِهرِس

صدر حديثاً لدار الصفا والمروة

التفكر والاعتبار

كتبه

د/ هشام عبد الجواد الزهيري

زاد الحاج والمعتمر

كتبه

د/ هشام عبد الجواد الزهيري

الرائد في علم الفرائض

كتبه

د/ هشام عبد الجواد الزهيري

الحيض

أول دراسة طبية شرعية لفقه الحيض والنفاس

كتبه

د/ هشام عبد الجواد الزهيري

الحجج القوية

على من أخرج تارك الصلاة من الملة السوية

كتبه

د/ هشام عبد الجواد الزهيري

من صحيح الأذكار والأدعية النبوية

إعداد

أبو عبد الرحمن هشام برغش

صدر عن الدار

لذة العبادة

تأليف
خالد السيد رُوشه

تقديم
الشيخ الدكتور/ أحمد فريد

موسوعة العلاج بالميكروبيوتيك

كتبه
أ. د/ موسى الخطيب

أكمل بيان

في معنى الإسلام والإيمان

كتبه

د/ عبد العظيم بدوي

الإلمام بفضائل الشام

كتبه

الشيخ/ أبو محمد أحمد شحاتة

الألفي السكندري

الإيجاز والعرض
في أن إعفاء اللحية فرض

تأليف

أبو دجانة علاء الدين أبو السعود

تقديم

الشيخ الدكتور/ أحمد فريد